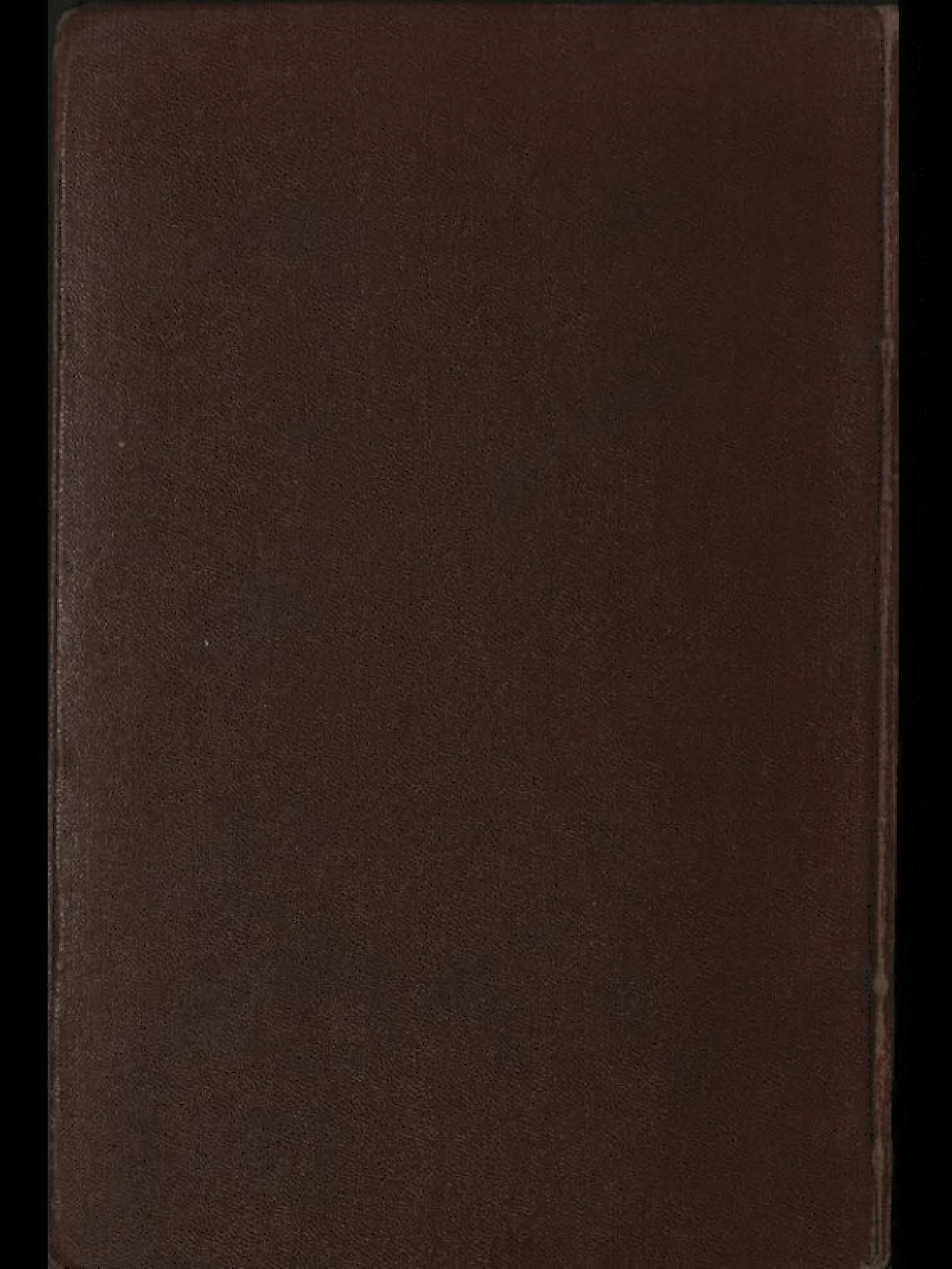
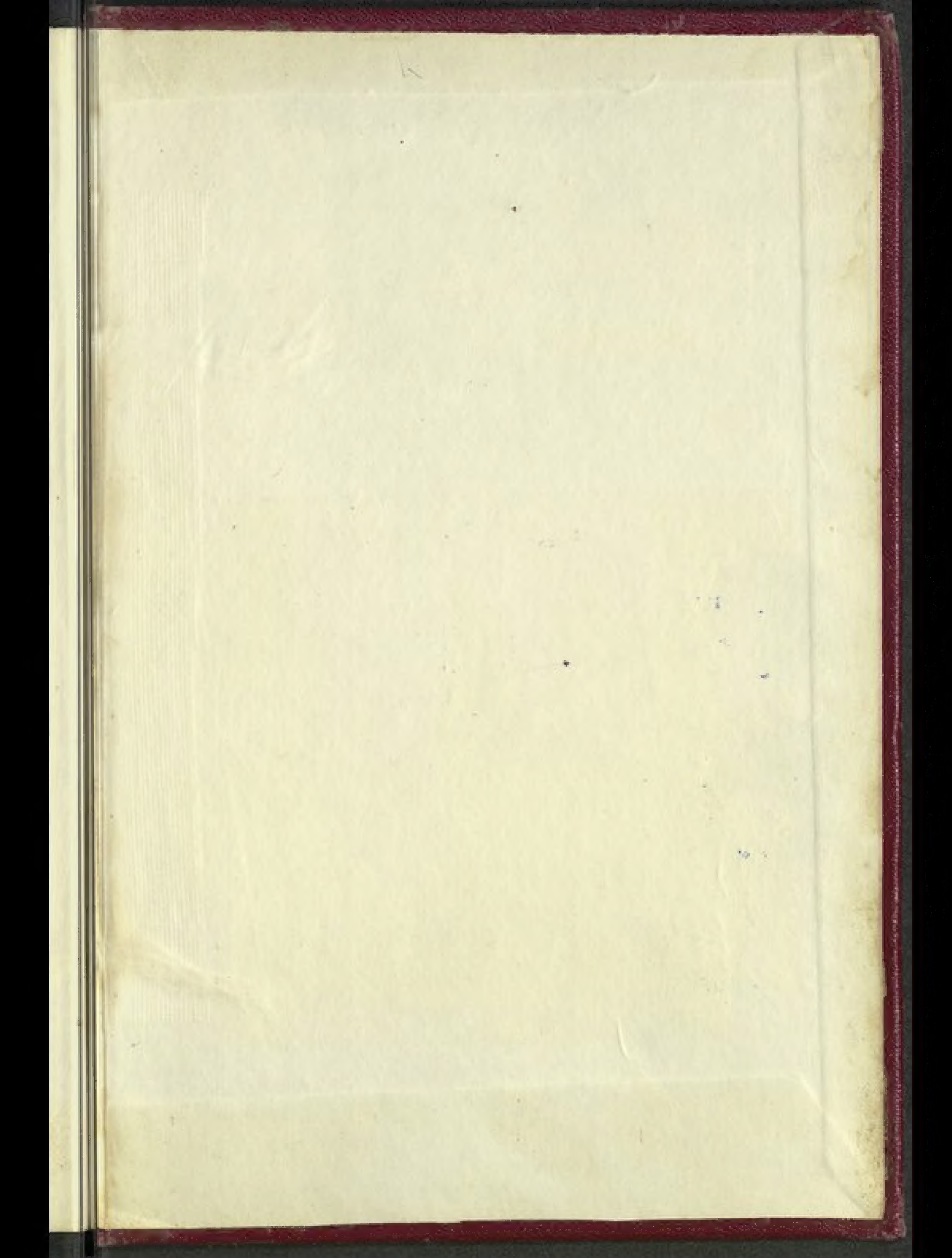




خباز، حنا .

اسرائيل . ماهيته ووقائعه .



حنّا خبّاز



ماهيّته ووقائعه

طبع على مطابع النجمة في بيروت عام ١٩٥٤



المؤلف حنا خباز

انا اعرف افرايم واسرائيـــل ليس مخفيـــا عني

هوشـــع ٥ : ٣

يا بني اسرائيـــل اذكروا نعمة الله عليـــكم

ســـورة البقرة

لان عينيك وقلبـــك ليست الا على خطفـــك

وعلى الدم الزكي الذي تسفكه

وعلى الظلم والاغتصاب

ارميـــا ٢٢ : ١٧

خلاصة الكتاب

اطلق اسم اسرائيل على ثلاثة مسميات يعقوب ابي العشيرة. والشعب اليهودي بأجمعه. والدولة اليهودية الحديثة.

واسرائيل واحد في كل مكان وفي كل زمان.

يرينا الكتاب ان عاقبة التعدي صنع الشر هي دائما وابداً السقوط: البر يرفع شأن الامة وعار الشعوب الخطية.

ولا نجد ابداً في العهد القديم ان الخطية تؤدي الى السعادة وكان كتاب العهد القديم ضد شرور اسرائيل. مرشداً موبخاً مهدداً. وكان انبياء اسرائيل دائماً ضدهم وضد ملوكهم. لأن الكتاب لا يقود الى الشر. بل بالعكس يقود الى الخير

الخير خاص في اسرائيل. والشر عام. اعني انه يوجد افاضل في اسرائيل. ولكنهم افراد ومضطهدون.

اما صفة الامة فهي كما سترى — غير ذلك —

وكتاب العهد القديم يقرن السعادة بالتوبة والحياة الصالحة.

فكان الكتاب في حرب عوان مع اسرائيل.

بيـان

موقفي لدى اليهود ولدى السكسون

١) لدى اليهود

لم اكن قط عدواً لليهود بل كنت في كل حياتي، وما زلت ولن ازال ما دمت حياً محباً لليهود، اريد لهم كل خير.

اساس هذه المحبة الكتاب المقدس بدأت في قراءة الكتاب منذ نعومة اظفاري. وما زلت حتى تجاوزت الثمانين من العمر فأعطيت قلبي للذين احسنوا في تأدية رسالة الله للبشر. هذا هو سبب محبتي لليهود.

احببت الحسن في اليهود رجال الفضل والصلاح اما سياسة اسرائيل، واهـــدافه مطامعه واحلامه ووقائعه، فغير داخلة في دائرة محبتي واستحساني فلا تعني كتابتي هذا الكتاب بغضاء ولا خصومة بل تبيان الحق فلا تتخطى المحبة حدود الحق.

حق بدون محبة ولا محبة بدون حق

نحوت في كتابتي نحو انبياء اسرائيل الذين انكروا على اسرائيل العروج الى الشر والفساد قال اشعياء ١ : ٣ و ٤ :-

ويل للامة الخاطئة، الشعب الثقيل الفهم نسل فاعلي الشر

اولاد مفسدون، تركوا الرب، استهانوا بقدوس اسرائيل

الثور يعرف قانيه. والحمار معلف صاحبه. اما اسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم.

لما قال اشعياء هذه الاقوال لم يكن يريد باسرائيل شراً. انما كان يخدم الحق والعدالة ويؤدي رسالته كخادم الله والانسانية.

٢) لدى السكسون

كذلك اقول اني احببت السكسون من نعومة اظفاري. لاني رأيت فيهم جمالاً يحب وفضلاً يحترم. لكن لما رأيت فيهم عروجاً عن الحق كما بدا منهم في قضية فلسطين كان من واجبي ان ارفع الصوت عالياً ضدهم. لا بغضاء وعداوة بل حرصاً على الحق واحتراما للانسانية.

فانسانية بدون حب ولا حب بدون انسانية

افأكون رجلاً ولا احب امتي العربية ؟

انا مع المظلوم. مع الحق. ضد الظلم. فقد ظلم العرب ولو انهم هم الظالمون لكنت مع الحق ضدهم رغم كونهم امتي وعشيرتي.

فحق بدون اخاء ولا اخاء بدون حق

والتزامي الانساني هذا

للخصم صيانة عرضه وانصافه

للجاهل ارشاده بالموعظة الحسنى

للبشر جميعاً المحبة والاخلاص

لذلك جئت، وانا في آخر ساعات حياتي، وعن قريب اكون بين يدي دياني العادل. جئت اشهد للحق.

اقول وقلبي يقطر دما ان ما فعلت بريطانيا بفلسطين، وما احلت بعرب فلسطين من الظلم. ان ذلك عار. عار علينا. عار على التمدن المسيحي.

اقسام هذا الكتاب

القسم الاول

اسرائيل قبل المسيح

ماهية اسرائيل : ما هو ؟ : ما معدنه ؟ : احلامه ؟ : وماذا كان من اسرائيل نحو الحق والانسانية مما يعين معدنه ؟

الجواب هو الفصول التالية :

الفصل الاول

اسرائيل – الجد الاول

تنبيه :

لا اقول في هذا القسم شيئا من عندي، بل ان كل ما اورده فهو من الكتاب المقدس المحسوب عند اليهود كتابا منزلا . فلا يقدرون على تكذيبه. فمن الكتاب اذكر اعراضا تبين ماهية يعقوب (اسرائيل)

العرض الاول : تكوين ٢٥ : ٢٧ - ٣٧

« فكبر الغلامان (عيسو ويعقوب) وكان عيسو انسانا يعرف الصيد ، انسان البرية وكان يعقوب انساناً كاملاً يسكن الخيام.

وطبخ يعقوب طبيخا . فاتى عيسو من الحقل وهو قد اعيى. فقال لأخيه اطعمني من هذا الاحمر . فقال يعقوب بعني بكوريتك . فقال عيسو ها انا ماض الى الموت فلماذا لي البكورية ؟ . فقال يعقوب احلف. فحلف له عيسو . فباع البكورية ليعقوب . فأعطى يعقوب اخاه عيسو خبزاً وطبيخ عدس فأكل وشرب »

هذا هو النص الوارد في التوراة .

بيانه وايضاحه

عيسو ويعقوب هما توأمان . خرج عيسو من بطن امه اولاً فصار البكر . ثم خرج يعقوب بعده فصار الصغير. وللبكر من تراث الوالد ضعفا ما لأخيه الاصغر. فحق عيسو من تركة والده اسحق مضاعف ما لأخيه. هذا هو معنى البكورية. والمعروف عن اسحق والدهما انه كان غنياً جداً في المواشي والبهائم والعقار والعبيد. فاذا قدرنا ثروته بثلاثمائة الف ليرا سورية وهو تقدير لا مبالغة فيه كانت حصة عيسو منها ٢٠٠٠٠٠ ليرا وحصة اخيه يعقوب ١٠٠٠٠٠ ليرا.

فكان يعقوب يتحين الفرصة لانتزاع هذا الحق من اخيه عيسو حتى كان يوم جاع عيسو، وطلب من اخيه يعقوب ان يطعمه من طبيخه — شوربا عدس فغنم يعقوب الفرصة واشترط على اخيه البكورية بصحن العدس ورغيف الخبز، اي انه باعه الفطور بمائة الف ليرا : هذا هو اسرائيل.

العرض الثاني : تكوين ص ٢٧

في هذا الاصحاح حكاية غريبة ، خلاصتها .

ان اسحق ، وقد بلغ من العمر عتيا دعا اليه ابنه البكر عيسو وقال له : يا ابني اذهب واصطد واطبخ من صيدك لي طعاما احبه . فآكل وتباركك نفسي قبل ان اموت .

يسمع عيسو ذلك من والده فيذهب ليصطاد كما اوصاه فيقوم يعقوب في غيبة اخيه بعملية غريبة وذلك بايعاز والدته رفقة ؛ فانها طبخت طبيخاً يحبه اسحق . وحمل يعقوب الطبيخ الى والده مدعيا انه هو عيسو . وانه عمل كما اوصاه ابوه . وحذراً من انكشاف امره كسا زنديه وعنقه بجلد جدي . لأن اخاه عيسو كان اشعر . اما هو فكان املط .

دخل يعقوب على والده اسحق حاملاً الطبيخ . وقال له : — قم يا والدي كل ولتباركني نفسك : قال اسحق : من انت ؟ . فقال انا ابنك عيسو بكرك . قد اصطدت وطبخت كما اوصيتني فقال اسحق ما اسرع ما صدت وطبخت . فقال يعقوب : الرب الهك يسر لي (في هذه العبارة كل تاريخ اسرائيل) . فقال اسحق تقدم يا ولدي . فتقدم . فجسه وقال كلمته التاريخية .

الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو .

ثم اكل وباركه

وبعد خروج يعقوب من حضرة والده جاء عيسو من الصيد وطبخ لوالده كما اوصاه ، ودخل عليه قائلاً : قم يا والدي . كل مـــن صيدي ولتباركني نفسك . فقال اسحق من انت ؟ . فقال انا بكرك عيسو . فجمد قلب اسحق في داخله ، وقال : لقد جاء الي اخوك يعقوب بمكر واخذ بركتك . سمع عيسو ذلك فبكى وغضب ونقم على اخيه وتوعده بأن سيقتله .

هذا هو العرض الثاني الذي يرينا ما هو اسرائيل

الثالث : تكوين ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩

في هذه الاصحاحات الثلاثة بيان ما هو اسرائيل .

وخلاصة ما في تلك الاصحاحات ان يعقوب هرب من وجه اخيه . فذهب من حبرون التي هي مدينة الخليل الى عند خاله لابان في نواحي ماردين . واقام عنده عشرين سنة ، تزوج في خلالها بابنتي خاله لية وراحيل وبجاريتيهما بلهة وزلفة . وولد له منهن اولا وآخراً اثنا عشر ذكراً ، وانثى واحدة هي دينة . ثم اتفق يعقوب وخاله على ان تكون اجرته على رعاية مواشي خاله كل ما فيه سواد من الخرفان . وكل ما فيه بياض من الماعز .

فأخذ يعقوب قضباناً خضراً من لبنى ودلب ولوز . وقشر فيها خطوطاً كاشطا عن البياض الذي على القضبان . واوقفها في مساقي المياه لتتوحم المواشي عليها حين تأتي لتشرب وهي عشار . فولدت المواشي مخططات وبلقاً ورقطاً . وحسب الشروط كانت هذه المواليد من حظ يعقوب . فوفرت ثروة الرجل .

اوردت الى هنا ثلاثة من الاعراض التي تدل على ما هو اسرائيل . والآن اورد عرضاً رابعاً .

فبا هو ذاهب من بيت ابيه الى حران نام في الطريق واضعاً حجراً تحت راسه . فحلم في نومه . رأى في حلمه ان السماء مفتوحة . وان سلماً منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء . وملائكة الله صاعدة ونازلة على السلم . والرب واقف في رأس السلم يقول ليعقوب انا الله اله ابرهيم ابيك واله اسحق : .. وها انا معك . واحفظك حيثما تذهب واردك الى هذه

الارض. فاستيقظ من نومه . وقال : حقاً ان الرب في هـذا المكان وانا لم اعلم .

وبكر يعقوب في الصباح. وأخذ الحجر الذي كان قد وضعـه تحت رأسه. وقال : ان كان الله معي. وحفظني في هذا الطريق الذي انا سائر فيه ، واعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ، ورجعت الى بيت ابي بسلام، يكون الرب لي الها. وهذا الحجر الذي اقمته عموداً يكون بيت الله.

وكل ما تعطيني فاني اعشره لك

هذه المشاهد الاربعة تعطينا ماهية اسرائيل.

المشهد الاول : طامع في البكورية

المشهد الثاني : يكذب على والده ويغشه

المشهد الثالث: يحتال ليجمع ثروة

المشهد الرابع: معاهد الله

ولا يفوتك ان نوع التقوى الذي في اسرائيل مادي .

ومحصور في شخصه وفي الحياة الحاضرة « ان كان الرب معـــي ، واعطاني وحفظني الخ .

فاولا : ان تقوى اسرائيل محصورة في ذاته ولا شيء ، فيها من الغيرية .

ثانيا : ان تقواه تنحصر في هذه الحياة

ولا اخروية في ديانة اسرائيل

هذا هو اسرائيل .

وسواء على اسرائيل أصلى ام لم يصل فالمادة والدنيا هي كل مطلبه. تبدو هذه الاعراض في اسرائيل من اوله الى آخره.

الفصل الثاني

اولاد يعقوب

وهنا ايضاً ورد اربعة اعراض : راوبين : شمعون ولاوي :

يهوذا : اخوة يوسف العشرة :

طبعاً اننا نتوقع ان نرى اسرائيل في اولاده وفي بيته

اولا : رأوبين. رأوبين اكبر انجال اسرائيل. قل هو بكره.

يقول الكتاب (تكوين ٣٥ : ٢١ و ٢٢) : وحدث اذ كان اسرائيل ساكناً في الارض ان رأوبين ذهب واضطجع مـــع بلهة سرية. ابيه. وسمع اسرائيل :

فهذا الحادث من بكر اسرائيل يعطينا مظهراً مـن الاعراض الدالة على مركز العائلة الروحي

ثانياً : يهوذا : وردت حكاية كنة يهوذا في ص ٣٨ من سفر التكوين. وهي حكاية طويلة خلاصتها : —

ان تامار كنته لبست زي زانية. وقعدت في طريق عينايم. فمال يهوذا اليها ، وهو يظن انها زانية عمومية. واذ لم يكن معه دراهم ارتهنت منه خاتمه وعصابته وعصاه. ثم عرف انها ليست زانية وانما ارادت تنبيه حميها الى واجب كان قد اغفله. فهي لم تكن زانية لكن حماها كان ، ولا ننس ان يهوذا عمدة اسباط اسرائيل الاثني عشر. وهذا هو معدنه.

ثالثاً : دينة بنت اسرائيل : واخواها شمعون ولاوي. وردت هذه الحكاية في ص ٣٤ من تكوين . وخلاصتها : -

ان دينة خرجت لترى بنات الارض. فرآها شكيم بن حمور رئيس الارض . واخذها الى بيته ، واذلها . ويظهر من سياق الكلام انها كانت راضية. ولم تقم بواجب الدفاع عن كرامتها.

هذا اول ما نسجله على بنت اسرائيل.

والشيء الثاني : اخواها شمعون ولاوي

ان نفس شكيم تعلقت بالفتاة وجاء مع والده حمور الى بيت اسرائيل خاطبين. وعرض على العائلة معاهدة صداقة وعدم اعتداء. « صاهرونا ! تعطوننا بناتكم ، وتأخذون بناتنا. وتسكنون في الارض » :

فأجابه شمعون ولاوي : اخوا الفتـــاة ، وكلاه بمكر. فالا « لا نستطيع ان نصاهركم ما لم تختتنوا نظيرنا » . فحسن الكلام في عيني حمور وفي عيني شكيم ابنه. وذهبا فأقنعا كل اهالي المدينة فاختتنوا جميعاً .

وفي اليوم الثالث ، فيما الناس متوجعون من عملية الختان ، جاء شمعون ولاوي شاهرين السيوف وضربا جميع الذكور في المدينـــة وقتلاهم. ونهبا المدينة وغنمها وبقرها وحميرها ونهبا كل ثروة المدينة وكل الاطفال والنساء.

هذا ما فعل اسرائيل وهو يبني ماهيته .

- رابعاً : اولاد يعقوب العشرة — غدرهم بيوسف اخيهم

ترد حكاية يوسف في تكوين ص ٣٧ . وخلاصتها —

احب اسرائيل يوسف ابنه الصغير اكثر من اخوته ، وصنع له قميصاً ملوناً . فأنشأ ذلك حسداً في قلوب العشرة. وتوقعوا فرصـــة لاغتياله.

حتى كان يوم أوسله والده ليفتقد سلامة اخوته الذين كانوا يرعون مواشي والدهم في الحقول بعيدين عن البيت .

فلما رأوا الحالم يوسف من بعيد قالوا هذا هو صاحب الاحلام . هلموا نقتله . ثم غيروا رأيهم . ونزعوا عنه القميص الملون وطرحوه في جب وبعدها باعوه للعرب . وهؤلاء نزلوا به الى مصر وباعوه عبداً . واخذوا قميصه وغمسوه بدم جدي واخذوه الى والدهم قائلين وجدنا هذا . حقق . اقميص ابنك هو ؟ . فتحققه وقال هو قميص ابني . وحش ردي اكله . وناح عليه كل الزمان ظاناً انه قد مات الخ .

وحكاية يوسف هذه من اشهر واطرف حكايات العهد القديم . وما زال الناس يتغنون بها الى ايامنا هذه مدة تقرب من ٤٠٠٠ سنة وتصرف بني اسرائيل باخيهم يوسف يرينا ماهية اسرائيل .

ذكرت الآن اربعة اعراض لاسرائيل وأربعة أعراض لبني اسرائيل وكلها تتفق في انها تظهر لنا ماهية اسرائيل وماهية ذراريه . لأن تلك الماهية هي خيط احمر يحبك شبكة اسرائيل في كل العصور .

الفصل الثالث

اسرائيل الذرية

وفي هذا الفصل ايضا اورد اربعة اعراض هي صادقة الدلالة في ما هو اسرائيل .

العرض الاول : نقمة اسرائيل على رسول خلاصهم .

الثـــاني : غشهم جيرانهم وسلبهم اشياءهم .

الثالث : ارتدادهم الى الوثنية .

الرابع : معاملاتهم موسى ورب موسى ٤٠ سنة في البرية .

الاول : نقمة اسرائيل على رسول خلاصهم .

انظر خروج ٥ : ٢١ . ففيه ما يأتي : –

وصادفوا موسى وهرون واقفين للقائهم حين خرجـوا من لدن فرعون . فقالوا لهما « ينظر الرب اليكما ويقضي . لانكما انتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيده حتى تعطيا سيفاً في ايديهم ليقتلونا » . هذا ما ورد في التوراة .

واليك بيان الحكاية :

عانى بنو اسرائيل في حـكم فرعون عبودية قاسية . اذ كان يسخرهم بضرب اللبن ويجلدهم بالكرباج . فأن بنو اسرائيل وتنهدوا من ظـلم فرعون . وصرخوا الى الله .

فهب موسى لانقاذهم من ذل العبودية وآلامها . ودخل مـع اخيه هرون الى فرعون وطلبا منه اطـلاق بني اسرائيل مـن مصر . فغضب فرعون من ذلك . وزاد في ظلم اسرائيل واهانته . واخبر وكلاء الشعب ان سبب تلك القسوة هو موسى وهرون وطلبهما تحرير الشعب . فنقم الوكلاء على موسى وهرون ودعوا عليهما دعوات مرة .

فـكان ذلك كاشفاً عن نفسية الشعب .

الثاني : سلب الاسرائيل المصريين ليلة خروجهم من مصر

انظر خروج ١٢ و ٢٥ و ٢٦

وفعل بنو اسرائيل حسب قول موسى طلبوا مـن المصريين امتعة

فضة وامتعة ذهب . واعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم . فسلبوا المصريين .

بيان الحكاية :

لما قرر فرعون اطلاق بني اسرائيل من مصر ذهبوا الى جيرانهم وقالوا لهم : اننا ذاهبون لنعبد الله في البرية ثم نرجع اليكم ويلزمنا في حفلات ديانتنا ملابس وحلى ذهب وفضة فأعيرونا ما عندكم . ومتى عدنا فاننا نرد ذلك لكم .

فاجابهم المصريون الى ما طلبوا . فذهب الاسرائيليون بتلك الاشياء لغير رجوع . فيكون الاسرائيليون قد غشوا المصريين وسلبوهم

وهذا من الاعراض التي تبين ما هو اسرائيل .

الثالث : الارتداد الى الوثنية (خروج ص ٣٢)

لما استبطأ الاسرائيليون موسى في الجبل جاءوا الى هرون يقولون :

قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا . لأن هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من مصر لا نعلم ماذا اصابه .

فقال هرون : انزعوا الاقراط من آذانكم وآذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وتعالوا الي بها . فنزع كل الشعب اقراط الذهب واتوا بها الى هرون . فأخذها هرون من ايديهم . وصنعها عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر . وبكروا في الغد واصعدوا محرقات وذبائح سلامة . وجلس الشعب للاكل والشرب ثم قاموا للعب .

والمراد باللعب هنا الرقص الديني الخلاعي امام الصنم كما في حفلات باخس .

فغضب الله عليهم. وقال لموسى : اذهب انزل . لانه قد فسد شعبك الذي اصعدت من مصر . زاغوا عن الطريق الذي اوصيتهم. وصنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له.

لاحظ قولهم « هذا موسى » بصيغة التحقير. موسى رئيس خلاصهم العظيم يحترونه كانه نكرة ثم يرتدون عن اله خلاصهم الى عبادة الاوثان.

فهذه الظاهرة تدل على الماهية وراء تلك الظاهرة.

واذا كانت هذه درجة تمسكهم بالرب الذي صنع ما صنع لأجلهم فيمكنك ان تعرف درجة امانتهم لصديق ، وحرصهم على العهد والولاء.

الرابع : معاملاتهم موسى ورب موسى في البرية ٤٠ سنة

(عدد ص. ١٣ و ١٤)

وما في هذين الاصحاحين صورة متكررة لمعاملتهم رسول خلاصهم.

خلاصة الحكاية : ـ

ارسل موسى رجالا يتجسسون الارض ، والشعب نازل في برية فاران فذهبوا وتجسسوا الارض. ثم رجعوا الى موسى واشاعوا مذمة الارض . وقالوا ان اسرائيل لا يقدر ان يكتسحها. فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر الشعب على موسى وهرون وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر لماذا اتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف ؟ اليس خيراً لنا ان نرجع الى مصر ؟ . وقالوا نقيم رئيساً ونرجع الى مصر .

ولما ابدى يشوع وكالب (اثنان من الجواسيس) معارضة . واراد

ان يشجعا الشعب قال كل الجماعة ان يرجموهما بالحجـــارة . تكرر ذلك منهم في خلال اربعين سنة .

وكان التذمر ديدنهم على الله وعلى عبده موسى وبهـذا المعنى يقول اشعياء ٦٣ : ٣

تمردوا واحزنوا روح قدسه .

على هذا الاساس وصفهم موسى بقصيدة وذلك بعد ان اختبرهم اربعين سنة . قال : ـ

افسد له الذين ليسوا اولاده عيبهم . جيل معوج وملتو .

الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غـــير حكيم ؟ اليس هو اباك ومقتنيك ؟ . هو عملك وانشاك . اذكر ايام القدم . اسأل اباك فيخبرك . ومشايخك فيقولوا لك .

سمن يشورون ورفس . سمنت واغلظـــت ، واكتسيت شحما ، فرفض الاله الذي عمله . وغبي عن صخرة خلاصه . الصخر الذي ولدك تركته . ونسيت الله الذي ابداك .

هذا هو اسرائيل بقلم موسى .

الفصل الرابع

فتوحات فلسطين

ان فتوحات فلسطين بقيادة يشوع تعطينا صورة حقيقية عن ماهية اسرائيل ، وكيف يعامل الناس الذين ما اساءوا اليه . واليك النص نقلا عن يشوع .

اولا : مدينة اريحا يشوع (ص ٦ : ١) .

كانت اريحا مقفلة الابواب بسبب بني اسرائيل . لا احد يخرج منها ولا احد يدخلها .

(عد ٢٠) : ثم هتف الشعب هتافا عظيما فسقط السور في مكانه . وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه واخذوا المدينة .

(عد ٢١) : وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة . من طفل وشيخ . حتى البقر والغنم والحمير حرموها بحد السيف .

(عد ٢٤) واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها .

انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب

طبعا ان خزانة بيت الرب هي في يدي رؤساء الامة .

هذا ما فعله اسرائيل باريحا .

ثانيا : عاي (يشوع ص ٨) .

(عد ١٠) . بكر يشوع في الغد . وعد الشعب . وصعد هو وشيوخ اسرائيل قدام الشعب .

(عد ١٩) : قام الكمين (اليهودي) بسرعة من مكانه . وركضوا لما مد يشوع يده بالمزراق (اشعاراً بالهجوم) . ودخلوا المدينة واخذوها . واحرقوا المدينة بالنار .

(عد ٢١) : لما رأى يشوع وجميع اسرائيل ان الكمين قد اخذ المدينة . وان دخان المدينة قد صعد انثنوا وضربوا رجال عاي .

(عد ٢٢) : وضربوهم حتى لم يبق شارد ولا منفلت .

(عد ٢٤) : وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا بحد السيف حتى فنوا ، ان جميع اسرائيل رجعوا الى عاي . وضربوها بحد السيف . فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر الفاً ، جميع اهالي عاي .

لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لانفسهم

واحرق يشوع عاي وجعلها تلا ابديا

فأي حق لاسرائيل على اهل عاي ؟.

هذا هو اسرائيل وهذا هو معدنه .

ثالثا : الملوك الخمسة (يشوع ١٠ : ١)

لما سمع ادوني صادق ملك اورشليم ان يشوع اخذ عاي خاف جداً . فارسل الى هوهام ملك حبرون . وفرآم ملك يرموت . ويافيع ملك لخيش . ودبير ملك عجلون هؤلاء اربعة وادوني صادق خامسهم .

(عد ٩) : فاتى اليهم يشوع بغتة . وضربهم ضربة عظيمة . وطردهم في طريق عقبة بيت حورون . وضربهم الى عزيقة والى مقيدة . فهرب الملوك الخمسة . واختبأوا في مقيدة .

فأخبر يشوع انهم مختبئون في مغارة مقيدة . فأمر ان يدحرجوا حجارة عظيمة على فم المغارة . وان يقيموا هناك رجالا للحفظ .

(عد ٢٠) : ولما انتهى يشوع وبنو اسرائيل من ضربهم ضربة عظيمة جداً حتى فنوا (عد ٢١) رجع جميع الشعب الى يشوع الى مقيدة .

(عد ٢٢) : فأمر يشوع ففتحوا فم المغارة . واخرجوا الملوك الخمسة .

(عد ٢٤) : وقال يشوع لقواد الحرب : تقدموا وضعوا ارجلكم على اعناق هؤلاء الملوك . فتقدموا ووضعوا ارجلهم على اعناقهم .

لاحظ هذه السماجة . ارجلكم على اعناق هؤلاء الملوك .

هـــذا هو اسرائيل

رابعا مقيدة : (يشوع ١٠ : ٢٨) : واخذ يشوع مقيدة . وضربها بحد السيف . وحرم ملكها . وكل نفس بها . لم يبق شاردة . وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحا .

خامسا : لبنة : (يشوع ١٠ : ٢٩)

ثم جاء يشوع ، وكل اسرائيل معه الى لبنة . وحارب لبنة . فدفعها الرب هي ايضا بيد اسرائيل . لم يبق شارداً . وفعل بملكهـــا كما فعل بملك اريحا .

سادسا : لخيش (يشوع ١٠ : ٣١)

ثم اجتاز يشوع . وكل اسرائيل معه من لبنة الى لخيش . ونزل عليها . وحاربها . فدفع الرب لخيش بيد اسرائيل . فأخذها في اليوم الثاني. وضربوهم بحد السيف : وحرم كل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة .

سابعاً : عجلون : (يشوع ١٠ : ٢٤)

ثم اجتاز يشوع ، وكل اسرائيل معه ، من لخيش الى عجلون. فنزلوا عليها وحاربوها . واخذوها في ذلك اليوم بحد السيف . وحرم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش .

ثامنا : حبرون (يشوع ١٠ ٢٦)

ثم صعد يشوع وجميع اسرائيل معـــه من عجلون الى حبرون .

وحاربوها ، واخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها . لم يبق شارداً . حسب كل ما فعل بعجلون فحرموها وكل نفس بها .

تاسعا : دبير (يشوع ١٠ : ٣٨)

ثم رجع يشوع ، وكل اسرائيل معه الى دبير ، وحاربها واخذها مع ملكها، وكل مدنها . وضربوها. بحد السيف وحرموها . وكل نفس بها. لم يبق شارداً . كما فعل بلبنة وملكها .

عاشراً : حاصور (يشوع ١١ : ١)

فلما سمع يابين ملك حاصور. ارسل يستغيث بجيرانه. فخرجوا وكل جيوشهم شعباً غفيراً كالرمل الذي على شاطىء البحر بخيل ومركبات كثيرة جداً . فاجتمع هؤلاء الملوك ليحاربوا اسرائيل. فجاء يشوع وجميع رجال الحرب عليهم عند مياه ميروم فضربوهم بحد السيف . وطردوهم الى صيدون المدينة العظيمة.

ثم رجع يشوع الى حاصور ، وضرب ملكها بحد السيف. حرموهم ولم تبق نسمة ، واحرق حاصور .

وكل غنيمة المدن نهبها اسرائيل لانفسهم.

واما الرجال فضربوهم بحد السيف جميعا حتى ابادوهم. لم يبقوا نسمة .

وكل غنيمة المدن نهبها اسرائيل لانفسهم. واحرقوا المدن.

هذا هو اسرائيل : قتل وضرب وسلب ونهب لا عيب ولا حرام، والامر مكشوف وواضح.

الفصل الخامس

اعتراض وجواب

الاعتراض :

ان ما فعل يشوع واسرائيل هو ارادة الله. فعلى م الملام؟.

الجواب :

اولا : يجوز القول ان ما كان يجوز لاسرائيل قديماً لا يجوز في هذه الايام .

ثانياً : ويجوز القول : ان هذا هو اسرائيل امره الرب ام لم يأمره. هذه هي ماهية اسرائيل.

ولا حرج اذا قلنا ذلك .

ثالثا : لنا حق ان نقول ايضاً

انا لا ابحث في هل امرهم الله او لا . بل موضوعي الخاص ما هو اسرائيل. ولكن مساعدة للقارىء اقول.

ان سفر يشوع يعطينا صورة جزئية ورمزية لله فلا تعين تلك الصورة ماهية الله. ولا يبنى عليها شرع.

اما الصورة التي يعطينا اياها لاسرائيل فهي صورة كلية وحقيقية. فنقدر ان نقول براحة ضمير . هذا هو كل اسرائيل .

وسبب الفرق بين الله وبين اسرائيل بهذا الاعتبار هو الفرق بين الماهيتين . فلا يجوز التسوية بين الاثنين .

الله هو الله . واسرائيل هو اسرائيل . هذا قول اجمالي.

وتفصيلاً نقول : -

الله غـــير محدود	واسرائيل محدود
الله كـامـــل	واسرائيـل ناقص
الله بـــــار .	واسرائيل مجرم
الله لا يسأل عما يفعل	واسرائيل يسأل
الله منزه عن كل هوى	واسرائيل عبد هواه

فلا يلبس الله ثوب اسرائيل . ولا اسرائيل ثوب الله .

جاء اسرائيل الى ارض تفيض لبنا وعسلا . فأكل العسل وشرب اللبن . لكن الله لم يأكل ولم يشرب .

اسرائيل قتل الرجال وورث بيوتهم واموالهم . فسكن البيوت واستغل الارزاق والله لم يسكن ولم يستغل .

ثم

ان الله دمر سدوم وعمورة بنار وكبريت او ببوران بركان - لا فرق - ولكن الله غير مسؤول في ذلك . واغرق الله فرعون وجنوده في خليج السويس . وما احد يداعيه .

واهلك في سنت بيار ٤٢٠٠٠ نفس . وما احد قام عليه دعوى . وهو تعالى قادر يحيي ويميت . فانه يميت كل ٢٤ ساعة ١٠٠٠٠٠ نفس من بني الانسان . وما احد يناقشه لأنه فعال لما يريد .

فلو انه تعالى اراد ان يدمر فلسطين ويبيد سكان فلسطين لما كان عليه حرج لأنه رب الكل . لكن هذه الاحكام لا تتناول اسرائيل .

هذا اولا

ثانيا هل لأجل الله فعل اسرائيل ما فعل ؟ الم يكن له في ذلك جر

مغنم ولا دفع مغرم ؟

أطاعة لأمر الله - دون نفع - جاء اسرائيل من مصر ونهب وقتل وسلب ودمر ؟ .

امسخراً كان اسرائيل ؟ .

كلنا نعلم ان اسرائيل لم يكن مسخراً . بل كان له مصلحة في ذلك . ففعل اسرائيل شهوة قلبه . لذلك يصح لنا ان نقول وعيوننا على الخراب الذي احدثه .

هذا هو اسرائيل .

ولنا مثل يوضح الامر : ايليا التشبي . رئيس مدرسة الانبياء .

هذا الرجل منع السماء الا تمطر ثلاث سنين (ملوك اول ١٧ : ١) .

فما احد لامه على ذلك .

ثم انه قتل انبياء البعل وكهنة السواري ٨٥٠ رجل (ملوك اول ١٨ : ٤٠) . وما احد لامه لأنه لم يرث بيوتهم ونساءهم .

فلو ان اسرائيل جاء مسخراً من مصر . فقتل اهل فلسطين بامر الله ورجع الى مصر ولم يأخذ شيئاً من الاسلاب ، لو فعل ذلك لجاز لنا الا نلومه .

ولكن اسرائيل لم يكن كذلك . لم يكن مسخراً تسخيراً . بل تكررت عبارة الكتاب بالقلم العريض :

وكل غنيمة المدن نهبها اسرائيل لانفسهم :

لأنفسهم لا لله . فاذاً ما كانوا مسخرين . بل هنالك مطمع غير طاعة الله .

دعني اضرب مثلاً موضحا :

المبشر يكرز بانجيل الله ، وواضح ان ذلك عمل مقدس يرضاه الله . ولكن حين يتبوأ رجل منبر الوعظ ويناشي بانجيل الخلاص ، لا لأجل الله ، بل لاجل نفسه ، انتفاعاً مادياً او معنوياً فانه يكون بذلك مجرماً ومستحقاً غضب الله.

هذا وهو يعظ بانجيل السلام ، فكيف وهو يجز الرقاب ويجمع الاسلاب .

ايتبرر الفاعل وهو يرتكب هذه الاعمال لاجل نفسه ؟ .

انا لا اريد ان اقطع اليد التي كتبت سفر يشوع . كلا . انا ممنون جداً من هذا السفر لانه شاهد عدل عما فعل اسرائيل . وقد كتب الواقع ولم يكن مفترياً . وبناء على شهادة الكتاب عرفنا ما هو اسرائيل .

جاء في سفر الاعمال ٤ : ٢٤ - ٣٠ صلاة مرفوعة من آباء الكنيسة الاولين قالوا « بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس وبيلاطس مع امم وشعوب اسرائيل . ليفعلوا ما سبقت يدك ومشورتك فعينت ان يكون »

فهنا اناس مجرمون مع انهم فعلوا ما عينت يد الله ان يكون فالله بار في قضائه . والعبد مجرم في انفاذ ذلك القضاء .

اظن ان في ما قدمته كاف لاراحة ضمير المؤمن في ان اسرائيل فعل ما فعل لاجل مطامعه لا لاجل الله.

الفصل السادس

افعال القضاة

واولها محاربة اورشليم (قضاة ١ : ٨)

قال الكتاب

وحارب يهوذا اورشليم. واخذوها وضربوها بحد السيف.

واشعلوا النار بالمدينة . بعـــد ذلك نزل يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والسهل. وسار بنو يهوذا بعد ذلك على الكنعانيين الساكنين في حبرون. وضربوا شيشاي واخيمان وتلماي .

روى الكتاب ذلك ولم يقل ان الله قاد القائلين. فيجوز لنا ان نحسب ان عمل يهوذا هذا من الاعراض الدالة على ماهية اسرائيل.

شمشون :

شمشون يهودي قح ولنا في حياته واعماله نظرات.

النظرة الاولى : انه تزوج بوثنية (قضاة ١٤ : ١) ممن نهى الله عن الزواج بهم.

النظرة الثانية : قتل ثلاثين رجلاً بدون امر الهي .

(قضاة ١٤ : ١٩)

النظرة الثالثة : احرق بيادر قرية غنة بعملية صبيانية شريرة لم يامره بها الله (قضاة ١٥ : ١ - ٨) .

النظرة الرابعة : انه لاذ بزانية وساكنها كزوج - سفاحاً . وطبعا ان الله لا يرضى ذلك.

النظرة الخامسة : احب دليلة الفاجرة في وادي سورق . وكانت سبب اذلاله وهلاكه. وذلك ضد امر الله. افلا يجوز لنا القول ان هذا هو اسرائيل ؟ .

الفصل السابع

ميخا الحرامي وجبعة ولايش

في هذا الفصل نرى واضحاً ما هو اسرائيل.

اولاً : حكاية ميخا (قضاة ص ١٧) : خلاصة الحكاية : ـ

اعترف ميخا لأمه انه هو الذي سرق لها الفضة . والآن يردها لها . فباركته امه. وكافأته على ذلك بأنها صنعت له تمثالين الواحد منحوت فهو من حجر . والآخر مسبوك فهو من معدن.

ثم ان ميخا استخدم لاويا متشرداً كاهنا له . اي كاهن للاصنام في بيته. وتمام القصة يرد في ص ١٨ : ١٧ — ٢٦ .

وهذا ضد ارادة الله .

ثانياً : بنودان (قضاة ١٨ : ٢ — ٢١) .

تجسسوا اولاً مدينة لايش. فكانت مطمئنة هادئة. وليس مؤذ في الأرض. فعاد هؤلاء وصحبوا ٦٠٠ رجل من سبط دان.

بدأوا عملهم بسرقة الاصنام وكاهنها من بيت ميخا .

ثم جاءوا الى مدينة لايش ومعهم الاصنام وكاهنها . فلم يكن معهم تابوت عهد الله . ولا يشوع رجل الله. ولم يأمرهم الله ان يفعلوا ما فعلوا. لأنهم مع الاصنام لا مع الله.

وفعل هؤلاء بمدينة لايش ما فعل اخوتهم باريحا وعاي . فـاذا برأنا اسرائيل لان الله كان معه فماذا نقول بهؤلاء الدانيين وقد وضعـوا الصنم موضع الله . انبرؤهم ؟ . كلا .

فترى ان اسرائيل هو هو . عمله واحد لا يتغير سواء امـع الله كان ام بدون الله ام ضد الله . فهو لا يفعل ما يريده الله. بل ما تريده طبيعته الشريرة .

وكل اناء بالذي فيه ينضح .

ثالثا : حكاية جبعة (قضاة ص ١٩)

رجل مار بمدينة جبعة بنامين . ومعه سريته. بات بالمدينة على ان يبرحها صباح الغد . فجاءه اوباش المدينة واغتصبوا سريته . وتعللوا بها كل الليل حتى فارقت الحياة .

وكان من جراء ذلك حرب اهلية قتل فيها ٧٦٠٠٠ نفس .

فهذا هو اسرائيل .

فهذا القسم من سفر القضاة يرينا ما هو اسرائيل لا ما هو الله . فانه تعالى ضد تلك الفضائح والمعايب .

الفصل الثامن

اسرائيل في الذروة

بلغ اسرائيل ذروة ارتفاعه ومجده في عهد الملوك. وفي هـذه الذروة نرى اربع شخصيات يمثلون لنا اسرائيل.

الشخصية الاولى : عالي الكاهن

(صموئيل اول ٣ : ١٢ - ١٧)

كان بنوا عالي اوباشاً سفلة « لم يعرفوا الرب ولاحق الكهنة من الشعب . فكانت خطية الغلمان عظيمة جداً امام الرب .

(عد ٢٢) وشاخ عالي جداً . وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع اسرائيل . وانهم كانوا يضاجعون النساء في باب المعبد . فغضب الله عليه وعليهم. عليه لانه لم يردعهم . وعليهم لانهم اساءوا (صموئيل اول ٢٢ : ٢٧ الخ) .

الشخصية الثانية : صموئيل النبي

هذا الشاب المحبوب النقي منذ ولادته ، خلف عالي الكاهن قاضياً على اسرائيل. وكان نبياً (صموئيل الاول ٨ : ١ - ٣)

« وكان لما شاخ صموئيل انه جعل بنيه قضاة لأسرائيل. وكان اسم ابنه البكر يوئيل . واسم ثانيه ابيا . كانا قاضيين في بئر سبع . ولم يسلك ابناه في طريقه . بل مالا وراء المكسب . واخذا رشوة وعوجا القضاء .

وكانت النتيجة ان الشعب رفضها .

وانتقل من عهد القضاة الى عهد الملوك .

وفي عهد الملوك اقتصر على اثنين هما داود بن يسى، وسليمان بن داود. لنرى كيف كانا .

الشخصية الثالثة: داود بن يسى

لا خلاف في ان داود كان اعظم شخصية في اسرائيل . فيه نرى التقوى والعظمة في الاوج . وما احد ادعى انه اعظم من داود بن يسى ملك اسرائيل في كل تاريخهم .

فماذا كان من داود ؟ .

لا تنس اني لا اقول شيئاً من عندي ، او من تاريخ عالمي . بل من التوراة ولا يقدر اسرائيلي ان يكذب شهادة التوراة .

وقبل الدخول في الكلام ارجو من القارىء ان يذكر ان الكتاب المقدس لا يعصم الانبياء من الكبائر. وانما يذكر كل ما بدا منهم لكي يبين احتياج الناس الى رحمته تعالى التي بدونها ما من ابن انثى يدخله عمله الجنة — ما لم يتغمده الله برحمته —

آ : اول ما ورد في الكتاب عن داود انه قتل ٢٠٠ من الفلسطينيين غدراً. بدون امر الله. انظر صموئيل اول ١٨ : ١٧ — ٢٧

فداود مسئول بدم ٢٠٠ قتلهم غدراً وبدون سبب.

٢ : ومما يؤخذ على داود تجننه امام ملك جت كأحد المهرجين . (٢ صموئيل ١٩ : ١٠ — ١٥) : فراجعه هناك .

٣ : كذبه على اخيمالك في نوب (صموئيل : ١ — ٩

وكانت زيارته اخيمالك سبب موت هذا المسكين .

٤ : قسوته على بني عمون (١ اي ٢٠ : ١ — ٣) يقول الكتاب .

« واخرج شعب الارض . ونشرهم بمناشير حديد ونوارج حديد وفؤوس » . ولم يفعل ذلك بامر الله . بل بارادته هو .

٥ : سقطة داود الكبرى. يرد خبرها في ٢ صموئيل ١١ : ١ — ٢٧.

وخلاصة الحادثة ان داود صعد الى السطح فاطل على الجيران . ورأى صبية تستحم في فناء الدار . فاعجبه جمالها . فارسل وجلبها الى بيته وفضحها. وهي بالشبع خطيبة اوريا الحثي . فحبلت الصبية . ولكي

يخفي داود فعلته عمل على قتل اوريا بصورة معيبة. وضم الفتاة الى الحرم السلطاني فصارت زوجة له.

فواذاه النبي ناثان بكلام الله. وقضائه على بيت داود.

قائلا: « لانك فعلت هذا لا يفارق السيف بيتك الى الابد. وان نساءك ستفضح في عين هذه الشمس. وهكذا حصل. وحافت الويلات في بيت داود.

واولها ان امنون بن داود من المرأة الواحدة فضح اخته - من غير امه - والقصة واردة في (صموئيل ثان ١٢ : ١ - ١٨).

وثانيها: ان ابشالوم بن داود الجميل المقتدر اغتال اخاه امنون اخذاً بثأر اخته ثامار التي فضحها امنون (صموئيل ثان ١٣ : ٢٣ - ٣٨) وثالثها ان ابشالوم هذا عصي على والده. والقصة طويلة وروائية (صموئيل ثان ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨).

وذلك ذل وعار ومرارة نفس لداود لم يصبه مثلها في كل حياته.

وقد هرب داود من اورشليم حافياً باكياً. ودخل ابنه ابشالوم اورشليم ظافراً منصوراً، ونصب خيمته على السطح وهناك - امام عيون جميع اسرائيل - اصعد سراري ابيه العشر وفضحهن كما كان ناثان النبي قد انذره.

رابعها: هذا الشاب الاروع ابشالوم قتل في هذه الثورة شر مقتل معلقاً بشجرة البطم.

وبكاه داود بنفس مرة. وعليه نرى داود مثلاً حقيقاً لأسرائيل.

لم تنته بعد نظراتنا لداود. بل لنا فيه نظرة اخيرة وهي انه في آخر ساعات حياته وهو في ابواب الابدية مازال نائماً على بواب قائده العظيم

وهو ابن اخته الذي انقذ حياته من ابشالوم : فاوصى ابنه سليمان خليفته على العرش ان يقتل يوآب هذا .

كذلك اوصى سليمان ان ينتقم من شمعي بن جيرا البنياميني الذي كان يبدي شماتته بداود يوم هرب من وجه ابشالوم . وكان يشتمه ويرميه بالحجارة ويسب داود انتقاماً منه لأنه انتزع الملك من شاول . ففي حزن داود وذله وهو هارب من وجه ابشالوم وقد اراد يوآب ان يقتل شمعي هذا انتهره داود وقال له دعه يسبني لأن الله قال له سب . هذا كان حكم داود يوم ضيقه . اما الآن وهو على وشك البراح من هذه الدنيا فقد غير رأيه واوصى ابنه سليمان ان يقتل شمعي هذا مع انه الآن وقت المسامحة ونسيان الانتقام . هذا ما رايناه في داود ذروة مجد اسرائيل ومثله الأعلى . فانه يرينا نفسية اسرائيل .

الشخصية الرابعة سليمان بن داود

سليمان زهرة اسرائيل ومجلى عظمته . وهو ابن داود من بتشبع . وقد مر بيانها .

كان سليمان مثال التقوى الصهيونية . وكان اديباً كبيراً وسياسياً حكيما . هو بنى الهيكل الذي يعتز به اسرائيل . وهو ملك السلام . وهو اشهر شخصية في كل اسرائيل . فماذا كان من سليمان هذا ؟ .

الجواب : نجده في سفر الملوك الاول ص ١١ . واليك النص من الكتاب : .

« واحب الملك سليمان نساء غريبة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات من الامم الذي قال الرب عنهم لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم ولا يدخلون اليكم » .

« فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري : فأمالت نساؤه قلبه . فذهب وراء عشتورث الاهة الصيدونيين ، وملكوم رجس بني عمون . وعمل سليمان الشر في عيني الرب . فغضب الرب على سليمان وقال له : اني سأمزق المملكة منك تمزيقاً » .

وهكذا حصل . وتمزقت المملكة وصارت مملكتين بعد سليمان — مملكة يهوذا ، ومملكة اسرائيل . عاصمة الاولى القدس ، وعاصمة الثانية شكيم اونابلس وقصة هاتين الدولتين طويلة . واكثر الملوك اشرار كالشعب الاسرائيلي كله . وحوادثها ما يخفض الرأس . حتى غضب الرب عليهم واجلاهم الى بابل . ومجمل الحوادث هذه يبين لنا ما هو اسرائيل .

ايظن احد ان مستوى اسرائيل كان اعلى من مستوى داود وسليمان ؟! اما انا فلا اظن .

اعرضت عن ايراد ملوك اسرائيل ويهوذا اكتفاء بسيرة داود وسليمان . ولكنني لكي اري القاريء ما هو اسرائيل .

اقتصر هنا على حكاية الكاهن زكريا بن يهوياداع . وقتل هذا الرجل يصم اسرائيل باعظم عار .

والقصة واردة في سفر الايام الثاني ٢٤ . ٢٠ و ٢١ : —

يقول الكتاب : —

ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم : « هكذا يقول الله : لماذا تتعدون وصايا الرب ؟ فلا تفلحون . لأنكم تركتم الرب تركـكم الرب » .

ففتنوا عليه ، ورجموه بالحجارة بأمر الملك ، في دار بيت الرب . ولم

يذكر (الملك) يواش المعروف الذي عمله ابو زكريا معه في قتل ابنه . وعند موته قال « الرب ينظر ويراقب » .

هـــذا ختام ما اورده من العهد القديم من تاريخ ممالك اسرائيل . وانتهت المملكتان بسبب شر اعمالهم .

هذا هو اسرائيل

الفصل التاسع

استير

انتقل الآن من عصر الملوك الى اسرائيل بعد السبي في زمن زركسيس (احشويرش) الفارسي لنرى نفسية اسرائيل في ذلك الحين . وماذا كان تأثير تلك الكوارث فيه . هل استفاد اسرائيل مما حدث له ؟ هل تاب وارعوى ؟

امامنا في التوراة سفر واحد مخصوص بحادثة واحدة يمكن ان نتخذها مقياساً في ذلك الزمان .

فسفر استير مجلي واضح لتمثيل اسرائيل وشهوة قلبه . وهو يرينا ان اسرائيل لم يتغير ، ولم يتطور ، بل باق كما هو . اسرائيل هو هــو . كل شيء يتغير في الدنيا الا اسرائيــــل . فهو في عهد استير كما في عهد القضاة وقبل القضاة .

والآن انقدم لنظر في سفر استير .

يمتاز سفر استير بأمور .

الاول : انه قصة روائية

الثاني : لم يذكر فيه اسم الله قط

الثالث : ان كاتبه يروي الحادث دون حكم

فهذا السفر قصة تحكي ابدع القصص او الروايات في كل عصور التاريخ .

خلاصة سفر استير

غضب زركسيس على زوجته الملكة وشتي . فطلقها واقصاها عن الملك . واختار بدلها بنتاً يهودية اسمها استير .

وهي يتيمة رباها عمها مردخاي . وهو الذي عرضهـا على الحرم السلطاني بين البنات المعروضات على الملك زركسيس . فوقع اختياره عليها . فجعلها زوجته الشرعية . ووضع تاج الملك على راسها . وكان عمها مردخاي ابا لها ومرشداً وهي ملكة كما كان وهي طفلة يتيمة . وكانت هي ترجع اليه في كبير الامور وفي صغيرها. وكان مردخاي في باب الملك بين الحاشية .

في ذلك الزمان رقى الملك زركسيس هامان بن همداثا الاجاجي ورفعه فوق جميع رجال الدولة . فكان رئيس الوزراء . ومنحه سلطة واسعة ، فكانت الامبراطورية الفارسية في قبضة يده . فكان الآمر الناهي فيها وحكمه نافذ من الهند الى كوش. فصار لهامان اعتبار عظيم في باب الملك . وكان جميع الذين هناك يقومون وقوفا على الاقدام كلما دخل وخرج . ويخرون سجداً امامه الى الارض الا مردخاي . فـلم يقف . ولم يخر امامه الى الارض . فاستغرب هامان ذلك منه . وسأل عنه من هو وما هو ؟ فأخبروه ان الرجل يهودي . فصغر في عيني هامان هامان ان يحصر انتقامه في شخص مردخاي .

وعزم على ابادة كل اليهود عن وجه الارض انتقاما من مردخاي.

فاصدر فرماناً موقعاً عليه بتوقيع الملك وخاتمه . وارسله الى جميع المرازبة والولاة في كل اقسام الامبراطورية . به يطلق ايدي الشعب في كل البلاد ليقتلوا اليهود في يوم ١٣ آذار السنة القادمة ويبيدوهم على بكرة ابيهم النساء والعجزة والاطفال مع الرجال . فلا يبقى لهم اصل ولا فرع .

ولكن بمساعي استير ومردخاي يتحول المشهد تحولاً روائياً . فيسقط هامان ويخلفه مردخاي رئيساً للوزراء . فتقبض مردخاي على ازمة الاحكام في الدولة بيد من حديد . فصلب هامان على خشبة ارتفاعها خمسون ذراعاً كان هامان قد اعدها ليصلب مردخاي عليها .

الآن وقد صار مردخاي صاحب الدولة . وابنة اخيه استير ملكة متوجة ، شرع في تأدية رسالته وهي مظهر روح اليهود . فاصدر فرماناً امبراطورياً ضد فرمان هامان المار ذكره . وختم هذا الفرمان بخاتم الملك ووقع عليه بتوقيعه . وفيه يطلق ايدي اليهود في اعدائهم في يوم ١٣ آذار القادم فيضربون اعداءهم ضربة هلاك وفناء . وعوض كون اليهود مقتولين يكونون قاتلين . وعوض كون اعدائهم قاتلين يكونون مقتولين .

وهذا الذي حصل .

ففي يوم ١٣ آذار المعين حصل ما ورد نصه في سفر استير :

« ضرب اليهود اعداءهم ضربة هلاك وقتل وسيف . فقتلوا في شوشن القصر ثلاثمائة رجل . وفي كل الدولة ٧٥٠٠٠ رجل .

هذه هي خلاصة سفر استير .

وسواء اواقعية كانت القصة ام رواية ؛ على الحالين ترينا نفسية

اسرائيل وشهوة قلبه . فتفهم ما هو وما هو حلمه : السلطة : سفك الدم . والوسيلة الى ذلك التجسس والحسبان .

هذا هو اسرائيل .

ولا يمكنك ان تتصور اسرائيل آلا هكذا .

القسم الثاني

بين عهدين
او
مشهد مشاهد التاريخ

اليهود والسيد المسيح امام بيلاطس الوالي الروماني

ليس البحث في هذا القسم دينيا . بل هو بحث تاريخي قضائي ، مع تحليل نفسي ، تتجلى فيه نفسية اسرائيل كما هي .

وهو الفصل القانوني الذي قام اسرائيل بتمثيله في رواية البشرية في مسرح التاريخ . ويلزم الانتباه الى معنى هذه المأساة .

في ليل الخميس — الجمعة قبل ١٩٢١ سنة نرى مشهداً روائيا بمدينة اورشليم . امة بمجموعها امام رجل واحد

تلك الامة هي اسرائيل . وذلك الرجل هو السيد المسيح .

لتلك الليلة والنهار الذي تلاها وزن في معيار القيم هنالك نهاية عهد وبداية عهد .

امامنا في المشهد رجل تبدو عليه سمات الوداعة وصفـــاء النفس ،

يسوقه خدام رئيس الكهنة وجند الهيكل الى دار حنان. ثم الى دار قيافا من رؤساء الكهنة . هذا هو السيد المسيح .

وكان رئيس الكهنة يحاول ان يمسك منه كلمة واحدة يمكن ان يبني عليها حكم الاعدام . فشرع يسأل يسوع الذي هو المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه (يوحنا ١٨ : ١٩) .

لم يكن هذا السؤال استفهاما . ولا تحقيقا قضائيا للتوصل الى الحقيقة . بل كان محاولة تجريم يسوع .

اجابه السيد المسيح قائلا : ـ انا كلمت العالم علانية كل حين في الهيكل وفي المجمع حيث يجتمع اليهود دائما . ولم اتكلم شيئا في الخفاء . لماذا تسألني ؟. اسأل الذين سمعوا ماذا كلمتهم. هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا . (يوحنا ١٨ : ٢٠ و ٢١) .

لما قال يسوع هذا لطمه واحد من الخدام قائلا : اهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟ . (يوحنا ١٠ : ٢٢) .

اجابه يسوع : ـ ان كنت قد قلت رديا فاشهد على الردي . وان كان كلامي حسنا فلماذا تضربني (يوحنا ١٨ : ٢٣) .

كان رؤساء الكهنة والشيوخ ، والمجمع كله ، يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا (متى ٢٦ : ٥٩ و ٦٠) .

والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به (لوقا٢٢:٦٣)

ورجل القانون يرى ما في ذلك التصرف من العدالة والانسانية . بل يرى ما فيه من الجناية على العدالة والانسانية . هكذا كانوا يهزاون ويعذبونه كل الليل .

ولما كان الصباح تشاور رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع

ليقتلوه . فـأوثقوه ، ومضوا ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي ، (متى ٢٧ : ١ و ٢) . وابتدأوا يشتكون عليه قـائلين : وجدنا هذا الانسان يفسد الامة . ويمنع ان تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو المسيح ملك (لوقا ٢٣ : ١ و ٢) .

هـذه الشكوى مختلفة وسخيفة . فلم يفسد يسوع الامة . ولا منع دفع الجزية . ولا ادعى ملكا زمنيا .

بونتيوس بيلاطس

ارى في هذا الرجل شخصية بارزة . فهو رجل فهيم . رجل قانون . متشرع . فهو الرجل الرسمي الذي قام بتمثيل دوره تمثيلا بديعا في هذه الرواية .

نظر بيلاطس الى يسوع . ورمـق بنظره متقدمي هذه الدعوى . فتجسمت الحقيقة لنظره الثاقب . ففهم انها دعوى كاذبة وسخيفة . وان متقدميها مراءون . فلا قيصر يهمهم . ولا الامة . وقـد اسلموا يسوع حسدا (متى ٢٧ : ١٨) .

رأى بيلاطس امــامه ظاهرتين ضدين . في الواحدة هدوء يسوع ووقاره في وسط جمهور مصطخب دلالة براءته وتساميه عن كل شائبة .

وفي الظاهرة الثانية رؤساء هائجين صاخبين يصيحون بمـلء اشداقهم ، دليل افلاسهم من البينة على ان يسوع ارتكب اي جرم .

ففهم بيلاطس بثاقب نظره ان يسوع ليس مجرما سياسيا . ولا هو زعيم ثورة . وماذا يهم اليهود لو كان يسوع ثائرا على قيصر .

وواقع الامر ان يسوع ليس ضد قيصر . ولا ضد اسرائيل . فان مظهره واجوبته وعلاقاته ، كل ذلك يدل دلالة واضحة على انه رجل دعاية دينية . وليس في ذلك ما يوجب الاعدام ، او يهم الحكومة الرومانية .

رأى بيلاطس الا نسبة بين شخصية يسوع وبين هذه الدعوى . وان لا بينة في ايدي المشتكين تثبت قولهم ان يسوع كان يمنع اعطاء الجزية لقيصر . فلم يكترث بيلاطس لهذه الدعوى . لأنه رأى رجلا كيسوع لا يقدر ان يكون ضـــد قيصر ، ولو ان جميع اليهود معه . فكيف وجميع اليهود ضده . فلماذا يحارب قيصر ؟ .

ومعلوم عنـــد بيلاطس ان رؤساء الكهنة هؤلاء الذين يتظاهرون بالغيرة على قيصرهم الد اعدائه .

قال لهم بيلاطس اني لم اجد علة في هذا الانسان . (لوقا ٢٣ : ٤) .

ثم ان بيلاطس ارسل يسوع الى هيرودس الملك الذي اتفق انه كان يومئذاك في اورشليم . فرده هذا قائلا ان ليس فيه علة .

فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة وعظماء الشعب وقال لهم : قد قدمتم الي هذا الانسان كمن يفسد الامة . وها انا قـد فحصت قدامكم ولم اجد فيه علة مما تشتكون به عليه (لوقا ٢٣ : ٤) .

فصرخوا بصوت واحد اصلبه .

وقولهم هذا اصلبه يخالف اصول المحاكمات موضوعا وشكلا . اما موضوعا : فلأنه لا يتضمن جرما خالفه يسوع ولا نظاما اوقانون عبث هو به . فليس هنالك ما يعاقب عليه . فصياحهم «اصلبه» هو من لغو الكلام . واما شكلا :

فلأنهم طلبوا من بيلاطس ماليس مـن اختصاص المدعي . فليس من اختصاص المدعي تعيين العقوبة . ذلك من اختصاص الحاكم . والمدعي فقط ان يورد الدعوى والبينات الثبوتية . وللحاكم بعد ذلك ان يقرر على المدعى عليه بجرم . واذا كان مجرما فما هي درجة جرمه ؟ . الجناية ام جنحة

ام قباحة . ثم ينظر هـــل هناك اسباب مخففة او اسباب مشددة . وحينذاك يعين العقوبة .

هذا في الدعاوي العادية .

اما في الدعاوي السياسية فالحكم فيها من اختصاص المفوض السامي - بيلاطس - ولا دخل فيها لليهود ولا لرؤساء الامة . فبالاحرى لا دخل فيها للاوباش والرعاع .

فتعيين العقوبة امر خـــارج حدود صلاحيتهم . فالحاكم لا يؤمر . والمدعي لا يأمر . وليس بيلاطس جلاداً ينفذ الاوامر والاحكام . بل هو اعظم من ذلك . هو مفوض سام وله حق النقض والابرام .

بهذا الاعتبار كانت صيحتهم « اصلبه » عملاً غير قانوني . فمن اين هـم الحق ان يأمروا المفوض السامي باعـدام رجل غير مجرم . يدعون عليه دعوى لا ثبوتية انه ثائر سياسي وهو ابعد خلق الله عن ذلك ؟ . فطلبهم هذا « اصلبه » طلب وقح لا قيمة قضائية له .

ولكن تطبيقاً للاجراءات ينفرد بيلاطس بيسوع للتحقيق معه واليك ما جرى بينهما .

بيلاطس : املك اليهود انت ؟ .

يسوع : مملكتي ليست من هذا العالم . ولو انها مملكة عالمية لكان لي جنود يحولون دون قبض اليهود علي .

بيلاطس (بنكتة) فانت اذاً ملك !

يسوع : كما تقول . هذا ولدت انا . ولهذا جئت الى العـالم لأشهد للحق . وكل من هو من الحق يسمع صوتي .

بيلاطس (بتزق) حق ! ؟ واي حق يارجـل ؟ . اني الدنيا حق ؟ . لاحق في الدنيا. والذي اضعناه في روما لم نجده في اورشليم . ولو ان في الدنيا حق لكان يكون هنا في هذه الحلقة مهبط الوحي ومركز الديانة .

اذكر يارجل .

ان الذين اسلموك الي ليسوا من رعاع القوم واوباشهم . بـــل هم صفوة رجال الامة . هم ، امتك ورؤساء الكهنة ، ـ اهل الدين والحق هؤلاء اسلموك الي . فاي حـق لهم عليك ؟ مـاذا فعلت ؟ . اي الجرائم فعلت حتى انهم يطلبون مني اعدامك ؟ . بيت مـن سـرقت ؟ . بنت من فضحت ؟ . ابن من قتلت ؟ . فـــاذا كنت ماسرقت ، ولا فسقت ، ولا قتلت ، فلماذا يطلبون اعدامك ؟ . من ذلك ترى ان لا حق في هذه الدنيا .

قال بيلاطس ذلك وخرج خارجا الى اليهود وقال : اني لم اجد علة في هذا الانسان .

فصرخوا قائلين «اصلبه اصلبه» .

قال لهم بيلاطس : وما هو جرمه ؟ .

فازدادوا صراخا «اصلبه اصلبه» .

فوضح الرجل القانون ان القضية قضية تبويش . وغاية ما هنـــاك انهم يرومون اعدام الرجل بحق او بغير حق .

هنا يعمد بيلاطس الى حيلة حكيمة لانقاذ يسوع مع ارضاء اليهود وبيانها هو هذا . كان بيلاطس معتاداً ان يطلق لليهود في كل عيد سجينا من المساجين ـ ايا طلبوه ـ فرآها فرصة سانحة الآن لربح رضاهم باطلاق سراح يسوع . فقـال لهم . عندي الآن سجين تعرفونه ، وهو باراباس .

وتعرفون فتنه وفتن رجاله الدموية .

وهذا الآخر يسوع . وانتم تعرفون ماهو يسوع وما هي اعماله . فأي الاثنين تريدون ان اطلق لكم ؟ . باراباس ام يسوع الذي يدعى المسيح ؟ .

بيلاطس رجل فهم . وما خطر له على بال ان اليهود يؤثرون باراباس على يسوع . لأن الفرق بين يسوع وباراباس كالفرق بين السماء وجهنم .

باراباس سفاح مجرم سخيف . ويسوع بار ومحسن . فكيف يمكن ان يتصور العقل تفضيل المجرم على البار ؟ واختيار الهدام للحياة وتسليم ملاك الطهر للموت ؟ . ولكن هذا الذي حصل . فان الجمهور صاح بايعاز رؤساء الكهنة - باراباس - باراباس - اطلق لنا باراباس - لا نريد الا باراباس .

فان الكهنة والرؤساء اشاروا الى الجمع بايديهم ورؤوسهم ، وعيونهم وشفاههم قائلين باراباس - باراباس . وصاح الجميع - باراباس - وقد علت اصوات رؤساء الكهنة على اصوات الرعاع والحثالة في نصرة البطل .

فنظر اليهم بيلاطس مشفقا . وقال لهم . ويسوع ؟. ماذا افعل به ؟. فصاحوا قائلين « اصلبه » .

هي فرصة للرعاع والاوباش ان يقفوا صفا واحداً مع الرؤساء . ويشتركون في عمل خسيس بقيادة اعاظم الأمة ورؤسائها .

والا . فأي خير في باراباس ؟. واي خير في يسوع ؟ . اذا كان في الأمة كلها رجل يجب اعدامه فهو باراباس واذا كان في الارض كلها رجل جدير بأن يحيا فهو يسوع .

ولكن الامة اختارت الاول ونبذت الثاني .

قال لهم بيلاطس ان يسوع لا يستحق الاعدام . فانا اؤدبه واطلقه .
فصاح الرؤساء : ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر .
كل من يجعل نفسه ملكا فهو ضد قيصر .
فماذا انتم من قيصر يا قوم ؟ .
أأحباب قيصر انتم ؟ .
ولو كان يسوع ضد قيصر اما كان يكون حبيبكم ؟ .
ثم ان بيلاطس اتى بيسوع الى الحضرة موثقا جريحا مهدما ذابلا وقال لهم : **هوذا الانسان :**
وهي عبارة اراها من جوامع الكلم .
فهي تعني في ما اظن : -

١ - هذا هو الانسان الذي تتهجمون عليه بخيلكم ورجلكم . فماذا ترون فيه مما يوجب كل هذا التهجم ؟ .

٢ - هذا هو الانسان الذي تتهمونه بمضادة قيصر . فماذا ترون فيه مما يخشى منه على قيصر ؟

٣ - هوذا الانسان الذي تخيفون به روما . فماذا ترون فيه مما يخيف روما ؟

٤ - هذا هو الملاك الطاهر الذي آثرتم عليه باراباس افعلى هذا يؤثر ذاك اللص ؟ .

رآه الجميع فصرخوا باعلى اصواتهم « اصلبه اصلبه »
فطلب بيلاطس ماء ، وغسل يديه امام الجميع قائلا : اني بري من دم هذا البار » .

فقالوا كلمتهم التاريخية : دمه علينا وعلى اولادنا :

هذا ما حصل في مشهد التاريخ . وذلك ما فعله اسرائيـــل كأمة : وبذلك ظهر لنا ما هو اسرائيل .

لا أمة في الارض فعلت فعل اسرائيل . كانت البركة امامهم ممثلة بيسوع . واللعنة ممثلة بباراباس . واحب اليهود اللعنة ونبـــذوا البركة فخسروها .

هذا هو اسرائيل .

القسم الثالث

اسرائيل بعد المسيح

الى هنا كان ما اورده عن اسرائيل من الكتاب المقدس .

وانتهى الآن تاريخ الكتاب المقدس . فساقتبس من التواريخ .

اولا : يوسيفوس .

ثانياً : الموسوعة البريطانية .

ثالثاً : من كتب عصرية .

رابعا : من الحوادث المشاهدة نصب عيوننا .

ولا اريد ان اظلم اخواني اليهود ولكن هم كانوا لأنفسهم ظالمين . ليوسيفوس المؤرخ كتاب معروف يدعى « حروب اليهود » .

اورد يوسيفوس في هذا الكتاب وصفاً مدققاً لتصرف اليهـــود في

ثورتهم على روما سنة ٧٠ م. وما وقع في تلك الثورة من الفظائع والفضائح .

ولا ينس القارىء ان غرضي هنا وفي كل الكتاب تبيان ما هو اسرائيل » .

ففي حصار اورشليم ودمار هيكلها اعظم الوقائع التي تبين ما هو اسرائيل. انقدم الآن للاقتباس من يوسيفوس. مختصراً .

قال يوسيفوس : -

« لا أمة في الارض ، في كل اجيال التاريخ منذ بدء الخليقة الى الآن تحملت ما تحمل اسرائيل من الكوارث والويلات . على ان تلك الكوارث والويلات لم تكن من صنع غير اسرائيل » .

لما اعلن اسرائيل عزمه على محاربة الامبراطورية الرومانية استغرب الملك اغريباس منه ذلك . اذ رأى عدم التكافؤ بين الجانبين. وذلك اول امر يقودنا الى تخطئة اسرائيل في هذه المغامرة فنهاهم اغريباس عن ركوب هذا المركب الخشن ، بخطبة ملؤها الحكمة والمحبة والحنان والعواطف الصادقة مقترنة بالفصاحة وقوة الحجة .

ومنها قوله : -

كيف تحاربون روما وهي قابضة على ازمة الامور في كل الدنيا ؟.

كيف تحاربون روما وقد خضعت لصولتها امم المشارق والمغارب المعروفة بالبطش والسؤدد كالمغار واليونان والفرنسيس والالمان والانكليز وراء البحار ؟.

فمن انتم حتى تحاربوا روما ؟. روما ام المفاخر والامجاد ؟.

واذا قلتم انكم تتوقعون النصر بمعونة الله فكيف تتوقعون معونته وقد دنستم شرائعه . ولا اراكم الا ساعين الى ذبــــح نسائكم واولادكم ودمار هذه المدينة وهيكلها . وفي ختام هذه الخطبة بكى اغريباس ، وبكت ايضاً اخته برنيس .

الفصل الاول

حصار اورشليم

قال يوسيفوس : -

« ان غضب الله على اسرائيل هو الذي ساق اسرائيل الى محاربـــة روما فلاكه » .

تألفت عصابات ارهابية يهودية في اورشليم . وكانت تلك العصـابات تحارب بعضها بعضاً . واستمرت المذابح في اورشليم سبعة ايام بلياليها بيوم بيوم . واضرموا النيران في بيت رئيس الكهنـــة ، وفي قصر اغريباس وقصر اخته برنيس . فذعر سكان اورشليم من فظائــــع الارهابيين . وهجر بعضهم المدينة هرباً من فظائعهم . وهاجم الارهابيون برج انطونيا . وذبحوا الحرس الروماني فيه . وهاجموا القلعة وحصروا من فيها .

ظهر في تلك الايام رجل يدعى يهوذا الجليلي . هذا نهب اسلحـــة الملك ، ووزعها على الثائرين واللصوص . وقدم يهوذا الى اورشليم ، وقتلوا رئيس الكهنة .

وكان ذلك بدء المأساة .

فقام الاجانب على اليهـود في كل اقسام فلسطين ، وذبحـوا منهم عشرات الالوف .

ارسل الامبراطور نيرون قائده فسباسيانوس لقمع ثورة اليهود . واذن له ان يصحب ابنه تيطس في تلك الحملة . فاستدعاه والده من الاسكندرية على ان يصحب اللجئونين السادس والعاشر . فحضر هذا كما امره والده وامده ملخص العربي بالف فارس و ٥٠٠٠ ماش ، فصار مجموع جيشه ٦٠٠٠٠ متجندين .

وقع يوسيفوس اليهودي اسيراً في يد الرومان في معارك الجليل . فحقن تيطس دمه . وتخذه واسطة بينه وبين اليهود . اما هم فحسبوه خائناً ، وما هو بخائن .

حنا جسكالا

رجل من مدينة جسكالا . كان حنا هذا وبالا على اليهود .

قاد الاهالي ضد الرومان في جسكالا . فانهزم .

وهرب الى اورشليم صحبة ٦٠٠ رجل تخلى عنهم فهلك اكثرهم في الطريق . اما هو فاسرع الى اورشليم يدعي انه قهر الجيوش الرومانية في جسكالا ، وما هو هنا ليقضي عليهم . وهو كاذب وقام حنا في اورشليم ينادي انه يروم ان يجهز على الرومان هنا كما اجهز عليهم في جسكالا .

كان حنا هذا وبالا على اورشليم وعلى الامة اليهودية .

في هذه الآونة يتوفى الامبراطور نيرون . ويحصل في اوربا ما اوجب ذهاب القائد فسباسيان بالاسراع الى روما لتداول الامر . تركا ابنه تيطس لقمع الثورة في اورشليم . فنادى به الجيش امبراطوراً وهو في الطريق . فدخل روما امبراطوراً خلفاً لنيرون .

اعود بالكلام الآن الى حنا جسكالا . كان هذا يخدع الناس لينضووا تحت لوائه لمحاربة روما فخدع الحمقى باكاذيبه . وشبت حروب

ومنازعات في اورشليم وفي كل فلسطين . وكان في كل مدينة وكل قرية ، بل في كل بيت حزبان . حزب مع روما وحزب ضدها .

كثر توارد الناس الى اورشليم من كل صوب فغصت بهم المدينة . وكثر فيها السفلة والرعاع واتخذوا الهيكل مقراً لهم ودنسوه . واستبدلوا الكهنة ورؤساء الكهنة بسقط الناس واخس الشخصيات . فانكر العقلاء ذلك وحصلت منازعات بل حروب اهلية بينهم .

وكان حنا جسكالا زنبرك هذه الحركات . لان الله غضب على اورشليم سلمها للدمار . هذه هي عبارة يوسيفوس .

هجم على اورشليم جموع غفيرة بعد مقتل رئيس الكهنة .

وكان فريق من اهل اورشليم قد استغاثوا بالادوميين ، فمدهم الادوميون بعشرين الف محارب . فكانوا على اورشليم ضغثاً على ابالة .

ونشبت بينهم وبين الفريق الذي ضدهم مذابح اطاحت بالوف من الاهالي ، ومن جملتهم رئيس الكهنة وذبح اليهود بعضهم بعضاً . وكان ذلك بدء الدمار .

ذبح الادوميون بعض الاهالي ، واهانوا العظماء والنبلاء فآثر هؤلاء الموت على الحياة ، وهلك في هذه المعارك نحو ١٢٠٠٠ نفس .

وبعد براح الادوميين عاد الاهالي لمحاربة بعضهم بعضاً ، فتأخر تيطس في مهاجمة المدينة فتركها اليهود يفني بعضهم بعضاً .

وعم النهب والارهاب . لذلك كان الاهالي يحسبون الجيش الروماني كمنقذ لهم من الارهابيين .

لما وصل تيطس الى اورشليم كان قواد الثائرين ثلاثة . حنا جسكالا والعازر بن شمعون ، ويهوذا بن ليسياس .

فاحتل الثائرون الهيكل . وذبحوا الكهنة وهم يؤدون سنة الذبائح . وكان احتساب الحزب الواحد من الحزب الآخر اكثر من احتسابهم من الرومان

في هذا الموقف يقول يوسيفوس : —

« يا المدينة التي نفاق شرها . فجاءت روما لتطهيرها . لست بعد مدينة تصلح لسكنى الله فيها . ولا يمكن ان تعيشي بعدما تلطخت بدماء ابنائك الابرياء »

ثلاثة احزاب ارهابية . نهبوا الغلال . احرقوا المخازن . فرغب العجزة والنساء في الرومان للنجاة من هؤلاء الاوغاد . وخافوا ذرعا . واكتنفتهم المخاوف . فغلت ايديهم عن كل تدبير . ولم تنقطع الصيحات في اورشليم نهارا وليلا صوت من الشرق . وصوت من المغرب . وصوت من الشمال . وصوت من الجنوب . لا امان ولا راحة . وقد ساد اليأس والقنوط . وعم الويل الجميع . وكان الاحياء يطأون جثث الموتى بالاقدام في الشوارع .

في هذا الظرف زحف تيطس الى اورشليم . وكان زحف الرومان منتظما هادئا مشرفا . ولما وصل تيطس امام المدينة انتقى ستمائة من جنوده . ودار بهم حول المدينة في شكل مظاهرة لتخويف الاهالي . فاعترضوا سبيله . ورموه بالنبال . لكنهم ما اصابوه . فالتزم ان يعرج عن تلك الخطة .

الآن التقت الاحزاب اليهودية . وانحل واحد منها فبقي حزبان فقط : حزب الكاهن شمعون وحزب حنا جسكالا .

احاط تيطس باورشليم احاطة السوار بالمعصم . وكان في المشهد

ظاهرتان . في الاولى محاربون منهزمون . وفي الثانية مسالمون يدعون الرومان لدخول المدينة . وقد فتحوا لهم الابواب . تخدع الرومان بهذه الحيلة . اما تيطس فلم يخدع . وابدى احتسابه منها . وقد برر الخبر احتسابه . لأنه لما تقدم بعض الجنود لدخول المدينة نزع الجنود المنهزمون ثيابهم الخارجية . وظهروا بثياب الحرب وامطروا الرومان وابلاً من نبالهم وقتلو وجرحوا كثيرين منهم .

ابطر اليهود فوزهم هذا . فتفخروا به ، وعيروا الرومان . كان مع شمعون ١٠٠٠٠ ثائر . وفي الهيكل ٦٠٠٠ . ومع حنا جسكالا ٦٠٠٠ . وارعابيون ٤٤٠٠ الكل ٢٦٤٠٠ كانت الامة فريسة هؤلاء .

وخيل لليهود ان الرومان لن يدخلوا المدينة . لكن المجاعة فشت في المدينة بشكل مخيف . وشرع الجوع يفتك باليهود . فسر ذلك الخصمين معاً . لأنه يخفف عنهم .

ولاح للفريقين ان لا احد يجب ان يعيش بعد اليوم .

واشتد عناد اليهود . وعبثاً حاول تيطس استرضاءهم . واراهم انه اذا سلموا سلمت المدينة والهيكل من الدمار ، والاهالي من الثثار . وكان يوسيفوس رسول تيطس الى اليهود . وكان هذا يغار على المدينة والهيكل . وكان يخاطب اليهود بالمحبة والرأفة . فلم يقبلوا ارشاداً . وتصلبوا وتوعدوا يوسيفوس وشتموه كثيراً .

كان عموم الشعب يميل الى التسليم . وباع بعضهم املاكه بابخس الاثمان لينجو من اهوال سقوط المدينة . و بالاكثر لينجو من الارهابيين .

قبض شمعون الكاهن على مقاليد الامور بيد من حديد ولم يكن

الحزبان يتوقفان عن مقاتلة بعضهم الا حين يهاجمهم الرومان . واخيراً اطبق الرومان على المدينة .

وقبل الشروع في الهجوم ارسل تيطس القائد نيكانور الى اليهود يعرض عليهم الصلح شرط تسلم المدينة . فابى اليهود قبول القائد وصدوه .

فامر تيطس بهدم كل القرى حول اورشليم الى مدى ١٥ كيلومتراً . ففصلت المدينة عن العالم الخارجي وصارت كالعصفور في القفص . وامر تيطس بنصب المجانق لدك الاسوار .

الآن توقف شمعون وحنا عن المحاربة الاهلية . ونظما صفاً واحداً ضد الرومان ، لكنهم لما خرجوا لمحاربة الرومان صدوهم وارجعوهم الى المدينة .

اخذ السور الاول

كان حول اورشليم ثلاثة اسوار . الخارجي والداخلي والاوسط . فشاد تيطس حول السور الخارجي ابراجا علو الواحد منها ٥٠ ذراعاً . فكانت الابراج اعلى من الاسوار ومتحكمة فيها . فتضايق اليهود جداً . وثغر السور الخارجي ، ودخل الرومان الى الفسحة وراءه . وكان السور الثاني اضعف من الخارجي . لكن اليهود دافعوا عنه ونشبت بين الرومان وبين اليهود معارك طاحنة . ونقل تيطس محلته الى الفسحة بين السورين . وقضى اليهود كل الليل ساهرين يرقبون الرومان . وهؤلاء ايضاً كانوا كذلك .

كان شمعون معبود اليهود . وكان تيطس معبود الرومان .

وهان الموت على الفريقين . ولم يبرح تيطس الميدان فيه باع . بل

لبث يراقب سير الحرب ويدير دفتها .

اخذ السور الاوسط

اخترق الرومان هذا السور بعد الخارجي بخمسة ايام . ودخلوا الى الفسحة بين السورين . ولم يبق امامهم الا السور الثالث . وتيطس امامه الآن .

نهى تيطس جنوده عن قتل الاسرى وعن حرق البيوت ، وكان راغباً في سلامة المدينة . فاستضعفه اليهود . وتشددوا في الدفاع . وحزوا رقبة كل من قال بالتسليم للرومان ، ورقبة كل من هرب اليهم .

والويل كل الويل للاغنياء حلوا او رحلوا .

لأنهم على الحالين في شديد الخطر . فان خرجوا من المدينة فالموت لهم بالمرصاد . واذا لبثوا في المدينة عانوا ما هو شر من الموت ، وهو السلب والضرب والجوع . اذ كان الارهابيون يقتحمون البيوت ويفتشون على الاطعمة . واذا رأوا في اهل البيوت نضارة اتخذوا ذلك دليلاً على وجود اطعمة عندهم فأوجبوا عليهم ان يدلوهم عليها .

وكان الواحد من اهل البيت ينزوي في اخفى المخابىء ليأكل اللقمة مستتراً عن اعين الرقباء . كأنه لص يأكل ما ليس له . وكان الاهلون لا يتمكنون من طحن الغلال فيأكلونها سلقاً بدون طحن . ولم تكن لهم موائد للطعام ، ولا انتظام عائلي . وكانت معيشتهم تستمطر العيون . فالضعاف جياع ، والاقوياء هم الشباعى . لأن كل ما في المدينة في حيازتهم بالقوة والارهاب .

كان الاطفال ينتزعون اللقمة من افواه والديهم لسد رمقهم . والاحزن من ذلك ان الوالدين كانوا ينتزعون اللقمة من افواه اطفالهم لأنهم اقوى

منهم .

واذا مر الارهابيون بباب موصد تخذوا ذلك دليلاً على وجود طعام مخبوء في الداخل . فيفتحون الباب عنوة . ويأخذون الطعام اذا وجدوه . والا شرعوا يعذبون السكان ليخبروهم اين هو . وكانوا ينتزعون اللقمة من المبلع . واذا ازدرد الشيخ اللقمة بسرعة اوسعــــوه لطماً ولكماً وركلاً انتقاماً منه . وكانوا يتلفون شعورهن تعذيباً . ولم تكن فيهـم شفقة على شائب ولا على رضيع .

وكانوا يحملون الصغار من ارجلهم ورؤوسهم مدلاة الى اسفل . حتى اذا كان في جيوبهم شيء من القوت يسقط على الارض فيلتقطونه ويخرجون فرحين . وكانوا يأخذون الاهالي الى بيوت الخلاء ويرغمونهم على اكل ما فيها ، او يخبروهم اين الطعام (اروي ذلك على مسئولية يوسيفوس)

وكانوا يراقبون الهاربين الى الرومان خوفاً من التعذيب . كذلك المتسللون ليلاً لجمع الاعشاب لتقويت عيالهم هذه كانت معاملتهم الفقراء .

اما الاغنياء فكانوا يجرونهم الى التفتيش . ويقيمون عليهـم شهود زور انهم عازمون على الهرب الى الرومان ليتوسلوا بذلك الى سلبهم ما معهم . ثم يرسلونهم الى شمعون ليمعن في تفتيشهم . وكانوا يشربون دم الاحياء .

فلم تعانِ مدينة في الارض ما عانت اورشليم من عذاب .

ولم تلد بنات حواء قساة طغاة كهؤلاء الارهابيين . ولم يقم في الارض رعاع نظيرهم : هذا هو اسرائيل :

لم ننته بعد من تبيان ما هو اسرائيل .

هؤلاء اليهود الاشرار ارغموا الرومان على هدم اورشليم بما ابدوا من

طغيان وفضائح . فأجبروهم على دك الهيكل بعد احراقه .

كان الرومان يعلقون اليهود على الصلبان حتى لم يبق صليب . وكان تيطس يشفق على اولئك المعذبين مما يعانون . لكنه لم يرد اعفاءهم من العذاب لئلا يحملهم ذلك على عدم التسليم . فكانوا يواصلون تعذيبهم ائلين قناتهم فيسلموا . لكن الارهابيين لم تلن لهم قناة .

كان الارهابيون يحملون اليهود الى اعلى الاسوار . ويرونهم اقاربهم يتلوون بين ايديهم ليحملوهم على البقاء في المدينة لئلا يصيبهم مثل ذلك .

وبالرغم من هذا كانوا يهربون الى محلة الرومان ولو انهم يموتون في ايديهم . وذلك مخافة من آلام المجاعة وظلم الارهابيين .

كان تيطس يبتر اطرافهم . ثم يرسلون الى شمعون ابيفت في عضدهم . وكان الارهابيون يشتمون تيطس ووالده الامبراطور . وحين يقول لهم الرومان سلموا لئلا يهدم الهيكل كانوا يقولون : الكون كله هيكل الله .

اخيراً طوق تيطس المدينة بسور جديد ليمنع خروج احد منها ، او الدخول اليها زيادة في التضييق على المحصورين . ثم بنى حول هذا الطوق ١٣ برجاً للمراقبة .

وكان السلابون يرتادون البيوت التي اصبحت مدافن .

وكانوا ينهبون حتى الاغطية التي على جثث الموتى . وكانوا يطعنون الجثث بالحراب ليتأكدوا من مفارقتها الحياة . ثم يخرجون من بيوت الموتى ضاحكين .

وكان المحتضرون منهم يسلمون الروح وعيونهم على الهيكل .

رأى تيطس الخنادق وقد امتلأت بجثث الموتى فتنهد رافعاً يديه الى

السماء يقول : لم أرد ذلك ولكن اليهود هم الذين ارادوه .

كان الرومان الكثير من الاطعمة مما تقدمه لهم سورية والبلاد المجاورة فلسطين . فيرون هذه لليهود لاغرائهم على التسليم .

حملت تيطس الشفقة على البقية الباقية من اليهود ، فعجل في اكتساح المدينة . لكن قناة الارهابيين لم تلن .

فكانوا يمزقون الجثث كالكلاب . وامتلأت البيوت بالمحتضرين.

قصة تبين نفسية شمعون :

كان في اورشليم رجل فاضل اسمه متياس . وكان متياس مذكى عند الجميع . وهو الذي ادخل شمعون الى اورشليم وكان القوم يمانعون في ذلك . لكن متياس توسط واقنعهم بمناسبة دخوله المدينة . وذلك فضل من متياس ، يجب على شمعون ان لا ينساه .

شكي متياس واولاده لشمعون بانهم ينوون الهرب الى الرومان . فحكم شمعون عليهم بالاعدام ولم يترك لهم فرصة للدفاع عـــن انفسهم . وحانت ساعة الاعدام . وكان لمتياس مطلب واحد وهو ان يعدمه قبل الجميع لكي لا يرى منية اولاده بعينيه . ولكن شمعون بخل عليه حتى في هذا المطلب . وجعله آخر من اعدم . زاد شمعون على ذلك انه منع دفن الجثث . وكان ينظر الى جثة متياس ، ويخاطبها شامتاً متشفياً والآن ترى هل يرسل اليك اصدقاؤك الرومان نجدة » .

هذا ما فعل شمعون مع المتفضل عليه .

وقتل شمعون كثيرين غـــير متياس . وسجن والد يوسيفوس ومنع الاتصال به . وذبح الذين كانوا يندبون موتاهم .

هذا هو اسرائيل .

لما رأى حارس الابواب ذلك اتفق مع الذين تحت يده عـلى فتح ابواب المدينة واباحة الدخول اليها لوضع حد لهذه الفظائع .

وكان العرب والسوريين يبقرون بطون الهاربين من المدينة مـن اليهود ليجدوا في امعائهم قطع الذهب التي شاع انهم يبلعونها حين هربهم من المدينة .

قيل انه في ليلة واحدة بقرت بطون الفين من اليهود بهذه الصورة . فلما عرف تيطس ذلك امر بمنع هذه العادة . ولكن القوم ظلوا يفعلونها سراً .

امر حنا جسكالا بتذويب آنية الهيكل . اذ لم يبق عنده ما ينهبه غيرها . مع ان تيطس ، وهو وثني ، لم يمد يداً الى مقدسات الهيكل .

قال يوسيفوس : —

« لو لم يسرع تيطس بفتح اورشليم لابتلعتها الارض كما جـرى لسدوم وعمورة بسبب شرور سكانها » .

كان على باب اورشليم رقيب روماني اسمه مانوس . هذا كان يقطع للقوم تذاكر بدفن الموتى . فـذهب الى تيطس . واخبره انه اعطى ١١٥٨٨٠ رخصة في مدة ٧٥ يوماً . عدا ٦٠٠٠٠٠ دفنوا بدون رخص وعدا المطروحين في الشوارع والخنادق وفي البيوت .

وهنا قصة اوربها على ذمة يوسيفوس : —

كان في اورشليم ارملة لها طفل وحيد . فلما اشتدت بها المجاعة ايقنت انها مائتة . وبموتها يموت طفلها . فرأت الافضل ان تأكل ابنها . فذبحت الطفل العزيز بيدها . واكلت قسماً منه . وابقت على القسم الآخر الى الغد . ففاجأها الارهابيون يقولون عندك رائحة طعام . فاين هو ؟ .

فقـالت لهم تعـالوا وانظروا . وكشفت الغطاء ، عن الطنجرة ،

وقالت هذا هو طعامي . فلما راوا بقية الطفل ذعروا وهربوا .

سقوط اورشليم

رمى اليهود بالنبال كل من دنا من الرومان من برج انطونيا لضربه بالمجانق . فسقط البرج في ٤ تموز . وظهر وراءه سور جديد كان اليهود قد بنوه في خلال ايام الحصار .

خاطب تيطس جنوده خطبة تاريخية كمقدمة للهجوم . واشار الى ما في الهجوم من مشقة . سمع الجنود ذلك فاخذهم الرعب واوجموا . لكن رجلاً سورياً اسمه سابينوس وقف وقال : ايها القيصر انا اقدم نفسي لك . انا اتسلق هذا السور . قال ذلك وتقدم شاهراً السيف باليمنى . رافعاً الترس باليسرى . تلاه خمسة عشر فدائياً . فرماهم اليهود بالنبال وبحجارة من علٍ . الا ان سابينوس لم يصب .

رأى اليهود ذلك فهربوا ظانين ان وراء سابينوس الوفاً من امثاله الا ان سابينوس زلت قدمه فهوى صارخاً . فرجع اليهود عليه . ورموه بالنبال من كل صوب . فنهض على احدى ركبتيه . وجرح كثيرين ممن دنوا منه للاجهاز عليه . وكان يتلقى الضربات بالترس فوق رأسه . واخيراً فاضت روحه لكثرة الجراح . وقتل ثلاثة من رفقائه ، وهرب الباقون .

وقام ١٢ من الرومان ، وحامل البوق معهم ، وتسللوا الى برج انطونيا في جنح الظلام . وذبحوا الحرس . ثم بوق حامل البوق شديداً فاستيقظ باقي الحرس . وهربوا مرعوبين . فانفجر لغم تحت اقدامهم كانوا قد اعدوه لأعدائهم .

وهكذا سقطت اورشليم

ودخلت الجنود الرومانية المدينة ونشبت معركة حامية استبسل

فيها الجانبان . وكان القتال بالايدي . اذ لم يكن ثمت مجال لاستعمال الاسلحة . ظلت المعركة الى اليوم التالي .

وبرز رجل روماني شجاع مدرب اسمه جوليان، هذا راى الرومان متضايقين فانقض كجلمود صخر حطه السيل من عل . وكان يمزق كل من جاء في طريقه . وكان ذلك من اغرب حوادث هذه الحرب . بل اغرب ما رأى تيطس في كل حروبه . لكن جوليان زلت به القدم فسقط على الارض . فارتد عليه اليهود ومزقوه بحرابهم .

وامر تيطس بحفر اسس الابراج لتوسيع مداخل المدينة . وارسل يوسيفوس الى اليهود بالانذار الاخير عليهم يسلمون فتنجو المدينـــة والهيكل من الدمار . وكان ذلك في يوم ١٣ تموز . ولم يتمكن الكهنة من تقديم الذبائح في ذلك اليوم . فتشاءم اليهود من ابطال الذبيحة .

وناداهم يوسيفوس « سلموا » فردوا عليه بالشتائم واللعنات . فانذرهم بان دمار المدينة قد دنا . وان الهيكل سيهدم اذا لم يسلموا .

قال يوسيفوس ذلك وعيناه تفيضان بالدموع . فاثر ذلك في الذين حوله ، وبرح بعضهم الى محلة الرومان . فاشاع حنا جسكالا ان هؤلاء اللاجئين قتلهم الرومان . لذلك امر تيطس بالجولان بهم حول المدينة تكذيبا لهذه الاشاعة . فلما رآهم اليهود تبع كثيرون مثالهم وجاؤوا الى محلة الرومان .

« ووبخ تيطس الارهابيين لأنهم نجسوا الهيكل . فحسبوا ذلك منه خوفا لا احتراما للهيكل .

حينئذ اختار تيطس ٣٠ ٪ من كل جنود ليهاجم بهم الهيكل . فنهاه رجاله عن ذلك حرصاً على حياته . فاكتفى بارسال الرجال ولبث

يراقبهم . وصل هؤلاء الى الحرس يظنونه نائم فاذا هم مستيقظون . فاشتبك الفريقان . وعلت الصيحات ووردت النجدات . وواصلوا العراك بياض نهار بعد سواد ليل .

واشتدت المجاعة على اليهود فكانت معواناً لتيطس . ومع انه لم يكن يريد دمار الهيكل ، القى احد الجنود قذيفة نارية في احد رواشن الهيكل . فاندلع اللهيب . وعجز اليهود عن اخماد النار . بلغ تيطس الامر فجاء يصرخ «اطفئوا النار» لكن الجنود زادوها ضراماً بدل اطفائها .

فاحترق الهيكل

ولم يبق فيه حجر على حجر لم ينقض . ولم يرمم هيكل اسرائيل الى اليوم (سنة ١٩٥٤) وذبح امام الهيكل ١٠٠٠٠ نفس شيوخ واطفال وامر تيطس بهدم اورشليم الى الارض . وجمع ضباطه وقواده وشكر الجميع على ما ابدوا من بسالة في هذه الحملة . وسرحهم ما عدا الجيش العاشر الذي ابقاه للمحافظة .

وانتهى امر اورشليم

مهزلة الكاهن شمعون

قال يوسيفوس في كتابه حروب اليهود صفحة ٤٦٤ : لما سقطت اورشليم واحترق هيكلها غنم شمعون فرصة انشغال الناس وجمع اليه الصق اصحابه وفيهم قطاعو الحجارة وحمل معه زاداً كثيراً . وانحدر الجميع في نفق تحت الارض ينوون ان يسيروا فيه بعيداً ويخرجون

بعيدين عن اعين الرقباء . ولما اشتدت الارض في النفق امامهم جعلوا يقطعون الصخر بما معهم من الآلات الحديدية .

فنقص زادهم كثيراً . وظنوا انهم بعدوا عن المدينة فخرجوا من النفق فاذا بهم لا يزالون ضمن محيط الهيكل . فظن شمعون انه يخدع الرومان بحيلة . فلبس جبته البيضاء ورداءه الارجواني وخرج فجأة كأنه يقوم بدور تمثيل .

وبعد ما هدأ روعهم قبضوا عليه . وسلموه للقائد الذي لما عرف بامره زين به موكب نصره في دخوله الى روما . ثم طرحه للضواري فمزقته حيا . وانتهى امره .

الفصل الثاني

اسرائيل بعد خراب اورشليم

خربت اورشليم . واحترق هيكلها . وهلك من اليهود في هـــذه المأساة نحو مليونين . وتشتت الباقون تحت كل سماء . وبيع فتيانهـم وفتياتهم بالبخس الاثمان .

وهموا بترميم الهيكل سنة ١٣٤ بزعامة ابن كوكبا . لكن الامبراطور ادريان قتل ابن كوكبا . وقضى على آمال اسرائيل . ثم اقصى اليهود عن اورشليم . وطردوا من كل فلسطين سنة ٤٠٠ م وانقطعت علاقات اسرائيل بالمدينة المقدسة .

ونراهم في عهد الدولة العربية قد ابيـح لهم دخول فلسطين والقدس الشريف الذي هو اورشليم .

لتنشر اليهود في اسبانيا والمانيا وايران وما وراء ايران .

وزادت ضيقتهم بتنصر قسطنطين والامبراطورية الرومانية في اوائل القرن الرابع . ولم يكن اليهود في الاجيال الوسطى راحة وسلام الا في بلاد العرب والاسلام .

وليس من اغراض هذا الكتاب تتبع اسرائيل في مراحله . فاكتفي بالاشارة واخص بالبيان ما له علاقة عاجلة امرائيل ووقائعه .

الحركة اللاسامية

يراد بها الحركة ضد اليهود في اوربا . والأصح ان تدعى الحركة اللايهودية . لأن اليهود هم المقصودون بها دون غيرهم من الامم السامية .

الصهيونية

هي رد فعل الحركة اللاسامية .

دعيت صهيونية نسبة الى صهيون وهي قسم من مدينة اورشليم وتدعى اورشليم العليا .

ان عزلة اليهود ، وحصرهم في الغيطو (حي اليهود الخاص في كل بلد) ولدا فيهم الرغبة في الحرية وفي تشريف موقفهم الاجتماعي .

فظهر فيهم دجالون يدعي كل واحد منهم انه هو المسيح المنتظر . وقد خدعوا كثيرين من اليهود في اسبانيا وايطاليا وتركيا .

وشجع الالفيون النصارى (الذين يؤمنون بمجيء المسيح بالجسد ليملك في فلسطين الف سنة) شجع هؤلاء منسى بن اسرائيل (١٦٠٤ - ١٦٧٧) في السعي لدى الباب العالي العثماني للحصول على براءة لانشاء مستعمرات يهودية بفلسطين .

وظهر في ازمير سنة ١٦٦٦ رجل يدعى ساباتي سابي ادعى انه المسيح وانتشرت شهرته في اوربا انتشار النار في الهشيم . ورغب كثيرون من اليهود في الهجرة الى فلسطين معه . وكان الهياج بسببه شديداً حتى عجز هو نفسه عن تهدئته . لكن حركة مندلسون هي التي هدأته .

موسى مندلسون ارقى يهودي عـاش بعد خراب اورشليم . وكان مبدأه الاساسي ان يعتنق كل يهودي جنسيته البلد الذي هو فيه . مع تعزيز المثالية والثقافة والعاطفة الروحية . ولو سادت فكرة مندلسون لما حصل ما حصل بفلسطين . فقد كان نظام مندلسون خير اليهود وخير جيرانهم . ولسوء الحظ ان اليهود اضاعوا مندلسون .

لكن درس التاريخ حسب مندلسون ايقظ في اليهود شعوراً عرقياً مقترناً برغبة شديدة بالعودة الى فلسطين . وهـذا الشعور هو الذي قاد هرتسل الى وضع الصهيونية .

ثيودور هرتسل :

يهودي صحافي بفينا . الف كتاباً دعاه « دولة اسرائيل » اراد بدولة اسرائيل فلسطين مستقلة اداريا تحت سيادة الباب العالي العثماني .

عقد اول مؤتمر صهيوني في بازل سويسرا سنة ١٨٩٧ وفي هذا المؤتمر وضعت الصهيونية . وشرع ذووها في جمع الاموال وتهجير اليهود الى فلسطين .

وفي ت ٢ سنة ١٩١٧ انطلقت شرارة الـ نزاع بين العرب واليهود بصدور تصريح بالفور وزير خارجية بريطانيا في عهد الرئيس اللويد جورج اعلن بالفور بذلك التصريح عزم « وزارة جلالته » على السعي في تحقيق وطن قومي لليهود بفلسطين .

وصدقت هذا الوعد فرنسا وايطاليا وامريكا سنة ١٩٢٢ . وادمج في صلب الانتداب الانكليزي عــلى فلسطين فشرع اليهود في جلب جاليات يهودية الى فلسطين على اساس تصريح بالفور ، حتى بــلغ عددهم سنة ١٩٤٦ نحو ٦٠٠٠٠٠ وكان يوم اصدار تصريح بالفور ٤٥٠٠٠ نفس ايقظ تصريح بالفور هــذا العرب والمسلمين في كل اقطاع الدنيا . فقاموا لتدارك الخطب وهو انتزاع فلسطين من الجسم العربي .

ويتلخص النزاع بين العرب واليهود في ان اليهود يبغون هجرة غير محدودة الى فلسطين وحرية مطلقة في شراء الاراضي والاملاك فيهــا . والعرب ينكرون عليهم الامرين — الهجرة والتملك —

ولكن اليهود دخلوا فلسطين بالقوة البريطانية .

والعرب يصرخون « لا نريد اليهود في بلدنا » .

هذا هو تلخيص الماجرية .

واروم اولاً ان ابين نوع اليهود المهاجرين الى فلسطين .

نــــوع اليهود المهــــاجرين

كانت احوال اليهود في روسيا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين سيئة جداً كما كان مركزهم الديني غير مرض .

وقد اتهموا بقتل القيصر اسكندر الثاني امبراطور روسيا ، سنة ١٨٨١ فثقلت يد الحكومة الروسية عليهم .

ولم تكن حال اليهود في بولندا خيراً منها في روسيا وهكذا في رومانيا وهنغاريا وكل شرقي اوروبا . وقد حرموا الحقوق والامتيازات في كل تلك الاقطاع .

فكان ثمت عاملان يدفعان اليهود الى فلسطين ، عامل ايجابي وعامل سلبي . فالعامل السلبي الحرمان والاضطهاد . والايجابي حبهم التقليدي لفلسطين .

كان في بولندا ٣،٠٠٠،٠٠٠ يهودي . واكثريتهم الساحقة في حالة يرثى لها اقتصادياً وعبثاً حاول بعضهم تحسين حالته بتعاطي المهن الحرة . لكن رغبة حكومة بولندا في تهجيرهم حالت دون ذلك . وقد ضيقت الحكومة عليهم مع افساحها لغيرهم لكي يجد اليهود انفسهم مرغمين على الهجرة . فأقصتهم الحكومة عن المناصب المهنية . وعن الشركات التعاونية . واستثنتهم من الرخص التجارية والصناعية . ومن الاستلاف من البنوك . ومن درس الطب والحقوق في جامعات بولندا .

وعانى اليهود مشقات عظيمة بين الحربين العالميتين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٩ في روسيا وفي كل شرقي اوروبا . وخسروا كثيراً من المال والرجال . فخرجوا من تلك الحربين محطمين مرظمين . اذ ساءت احوالهم وفسدت اخلاقهم .

هتلر وفلسفته

لم تكن الحال تنقص الا هتلر والفلسفة العرقية . فقد اعتقد هتلر ان اليهود هم السبب في ان المانيا خسرت الحرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ . ومن يقرأ كتاب كفاحي بقلم هتلر يفهم سعة الشقة بين اليهود وبين فلسفة هتلر العرقية .

نشأت هذه الفلسفة في هيغل تلميذ كنت الفيلسوف الالماني العظيم . قال هيغل : —

« الدولة كائن عضوي يحرص على البقاء كغيره من الاحياء . ولكي

تكون الدولة نقية يلزم ان تكون من دم واحد».

هذه هي الفلسفة العرقية ان تكون الدولة من عرق واحد .

اصبح المعول على هذه الفلسفة بعد حرب سنة ١٨٧٠ بين فرنسا وروسيا . وقد ايدهـــا هيوستن الانكليزي صديق الامبراطور وليم الثاني ، واوردها في كتابه «اسس قرن التاسع عشر» . كما اوردها غوبينو في كتاب «عدم تكافؤ الاعراق البشرية» .

قرأ هتلر الكتابين فتبنى الفكرة وطبقها . قال هيوستن «اليهودي غريب عن الحضارة الاوروبية الغربية فهي لا تلائم روحه ، وهو لا يلائم روحها . وقد يقضي اليهودي عليها» .

تشبعت روح هتلر هذه الفلسفة . فحسب اليهود وبأ اجتماعياً يلزم استئصاله كما ورد في كتاب «كفاحي» فلما تبوأ منصة الحكم سنة ١٩٣٣ هب لتطبيق بروغرامه في استئصال السرطان اليهودي من جسم الدولة الالمانية . فحطمهم . ولم يستثن المتنصرين منهم . لأنه يرى ان الداء في العرق لا في الدين . فحرمهم من الجنسية الالمانية بشرائع نورمبرغ سنة ١٩٣٥ . واقفـــل معابدهم . وزج المئات والالوف منهم في السجن . وصادر ثروتهم .

ولما شب ضـــرام الحرب سنة ١٩٣٩ حسبهم اجانب . فحظر عليهم المدارس العالية . والاتصال بالعناصر الاخرى . وزيارة المتاحف . وارتياد المنازه . وحصرهم في الغيطو .

وادخل الجيش النازي هذه المعاملات الى كل بلد حلها .

كانت الحال سيئة في بولندا . فاذا هي اسوأ بالمانيا . ومثلها شرقي اوروبا .

فانحصرت الهجرة الى فلسطين في اولئك التاعسين حثالة اوروبا . الذين خرجوا من الفقر والذل والظلم والهوان . وأتوا الى ارض تفيض لبناً وعسلاً يريدونها لهم وحدهم . فكان من امرهم مع العرب ما كان .

بنت كرم يتموهـا امها ... واهانوها وديست بالقـدم
ثم قامـوا حكموها فيهم ... ويلهم من جور مظلوم حكم

هذه هي حال اليهود لفلسطين

الفصل الثالث

العرب واليهود بفلسطين

لم يكن يهود بفلسطين يوم دخلها العرب سنة ٦٣٢ .

ويرى العرب ان اليهود شعب غير مرغوب فيه . زاد ريبتهم فيهم دخولهم بقوة اجنبية (انكلترا) . مع ذلك رحب العرب بهم . واخذوا بأيديهم . وعاشوا معهم بسلام من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٩١٨ اكثر من ثلث قرن . ونما عدد اليهود من لا شيء الى ٩٠٠٠٠ نفس . في كل هذه المدة ما سمعنا بنزاع بين العرب واليهود . لكن عرفهم العرب كعنصر ضعيف ذليل . لا غزاة ينتزعون الارض من مالكها . عند هذا الحد وقف العرب ، ولم يتجاوزوه . لكن تصريح بالفور غير الوضعية . والذي غير الحال بالاكثر هو حلول الانتداب الانكليزي محل السلطة العثمانية .

وتتلخص الحال بين العنصرين بالقضايا التالية :

القضية الاولى : يحسب العرب انفسهم اصحاب البلاد .

القضية الثانية : لم ينتزع العرب فلسطين من اليهود . بل ورثوها من اجدادهم .

القضية الثالثة : لم تكن لعرب فلسطين صبغة حرب ولا جيوش منظمة مسلحة .

القضية الرابعة : كان لليهود بفلسطين يوم انسحب الانكليز سنة ١٩٤٨ ٩٠٠٠٠ محارب .

القضية الخامسة : هؤلاء الجنود حاربوا عرب غير فلسطين . أعني مصر وسورية والعراق وعرب الجزيرة . دفاعاً عن فلسطين .

القضية السادسة : لما فاز اليهود في الحرب سنة ١٩٤٨ ، وخلا لهم الجو بفلسطين طردوا العرب بالقوة من بلادهم وحلوا محلهم .

ذلك ما يقوله المؤرخ العربي .

يرد اليهود عليه بقولهم نحن حاربنا العرب وغنمنا العرب .

فيقول العربي : ان اليهود حاربوا عرباً وغنموا عرباً آخرين .

حاربوا عرب غير فلسطين . ولكنهم سلبوا عرب فلسطين . ولم يغنموا غنائم حربية . بل انتزعوا ارزاق الافراد . وهذه ليست مغانم حربية بل سرقة اغتصابية .

واليك مثلاً من ذلك . يبين صفة المغنم اليهودي .

قصـــة عبدالله الامين

عبدالله رجل فلسطيني عربي في العقد السادس من العمر . رجل متدين . ذو اخلاق عالية . يحبه اليهود ويحبهم . يحسن من اللغات العربية والانكليزية والعبرية والالمانية .

بنى عبدالله هذا بيتاً بعرق الجبين . سكن قسما منه وآجر الباقي . وعاش في محيط يهودي صديقاً مخلصاً . الى عبد الله هذا جاء في ذات يوم

٤٩ يهوديا . وطلبوا منه اخلاء البيت . لا مستأجرين بل محتلين . فاعتذر لهم . بأن ذلك غير ممكن فشتموا الرجل . وهو ليس ممن يشتم ويهددونه في حياته . وهو محترم كل الزمان . وضربه احدهم بقضيب حديد . فشخب الدم من انفه . وهو الضرب الوحيد الذي اصابه في كل حياته .

. يالخوان ! ياحباب ! يابني اسرائيل ! ياأهل الله ! ياكرام ! بحق سيدنا موسى كفوا شركم عنا .

« ابوك علي ابو موسى . اخرج من البيت والا اختالك بوسى . فرأى الرجل انه لاينفع معهم فأسرع الى السلطة اليهودية ـ الهاغانا ـ ذهب الى هاغانا ودمه على صدره . وشكا لها امره . وطلب انصافه . فأجابه رجل السلطة ان ذلك غير ممكن . والاحسن ان يسلم البيت ويسلم هو .

فامتثل الرجل . وسلم بيته بأمر هاغانا ، ومرغما .

وهذه هي السنة السادسة وعبدالله شريد بين اللاجئين . وقد حظر عليه دخول بيته . بل دخول المدينة وكل فلسطين معها .

يقول اليهودي : عبدالله عربي ونحن حاربنا العرب : لكن الحادث ما كان حرب . بل قبل الحرب . وهذا مالك شخصي ما دخله في الحرب ؟ . وما شأن الحرب في بيت هو ملك خاص ؟ . الرجل صديقي . يزورني المرة بعد المرة . روى لي قصته ولم يفرط بكلمة واحدة ضد اليهود . سمعت له مطرقا خجلا لأني احب اليهود . ولا اقدر ان ابرر عملهم . هكذا جرى لكثيرين من العرب . الذين ارغمهم اليهود على اخلاء بيوتهم والانسحاب من ديارهم

قال الكونت برنادوت وسيط الامم المتحدة في ١٦ كانون الاول سنة ١٩٤٨ : - « يواصل اليهود اخراج العرب من منازلهم ليحلوا محلهم وجاء في الكتاب « اسرائيل جريمتنا » .

فالحقيقة التي لا يتطرق الشك اليها هي ان اليهود اخرجوا العرب من ديارهم بالقوة وحلوا محلهم .

وجاء في هذا الكتاب قوله ص ٣٢ : وقد ابلغ الكونت برنادوت مجلس الامن في تموز سنة ١٩٤٨ ، ان القوات اليهودية هاجمت ثلاث قرى جنوبي حيفا واخرجت منها بالقوة ٨٠٠٠ عربي .

الفصل الرابع

البعثة التفتيشية

ما هي هذه البعثة ؟ . ومن بعثها ؟ . ولماذا ؟ . وماذا روت عن فلسطين ؟ . هذا الفصل يتضمن اجوبة المسائل .

لما تفاقم الخطب بفلسطين سنة ١٩٤٧ واخطرت بريطانيا الامم المتحدة انها عزمت على الانسحاب منها ، ارتأت الامم المتحدة ان تبحث عن طريقة لتسوية الخلاف بين العرب واليهود . فعينت لجنة هذا الاتحاد اسمتها البعثة التفتيشية ، وارسلتها الى فلسطين لتدرس الحال فيها عن كثب ، وترفع تقريراً عن ذلك للامم المتحدة .

تألفت البعثة من احد عشر من مندوبي الامم في منظمة الامم المتحدة ، وهم :

١	— سندستورم	من السويد	رئيساً
٢	— جورج غرانادو	« غواتمالا	نائب رئيس
٣	— سيمسيك	« يوغوسلافيا	عضو
٤	— عبد الرحمن	« الهند	«

٥ – نيزيسيكي	« تشيكوسلوفاكيا »
٦ – ن. بلوت	« هولندا »
٧ – فيربجيت	« باراغواي »
٨ – فلارازي	« بيرو »
٩ – الدكتور هو	« الصين »
١٠ – نصرالله انتظام	« ايران »
١١ – الدكتور هود	« اوستراليا »

دعيت هذه البعثة اونسكوب UNSCOP وهي كلمة مؤلفة من الاحرف الاولى من الجملة التالية :

UNITED NATION SPACIAL
COMMITEE ON PALESTINE

لجنة الامم المتحدة المختصة بفلسطين

قرأت كتاباً موضوعه هذه البعثة واسمه « مولد اسرائيل » مؤلفه جورج غرانادو نائب رئيس البعثة .

وها انا اورد منه بعض فصول تلقي نوراً على الموضوع .

اولا – ما هم اليهود الآتون لفلسطين

اورد المؤلف غرانادو هنا اوصاف اليهود الذين رآهم في ملاجيء المانيا والنمسا المستعدين للمجيء الى فلسطين . قال :

«نحن الآن في ميونيخ . نسمع كلام برنشتين . قال :

اذا انسحب الجيش الامريكي من المانيا حصلت كارثة في ثاني يوم انسحابه

لأن روح اللاسامية لا تزال بالمانيا وستون في المائة من الالمان يفكرون في القيام على اليهود .

« ازداد عدد اللاجئين في سنة من ١٠٠٠٠٠ الى ٢٢٥٠٠٠ نفس . وفي جميع الدوائر رغبة شديدة في الذهاب الى فلسطين . على انه لا يمكن ارسال اكثر من ١٠ بالمائة منهم .

« وفي اليوم التالي كنا في اندوسن حيث محلة لليتامى بادارة مريم ولسلي . قالت : لا استقرار ولا امن هؤلاء الاولاد . فانهم يظنون ان هذا المكان ليس الا محطة في الطريق الى فلسطين . وهم محاطون هنا بالبغضاء . ومن المعلوم ان آباءهم ماتوا اما اختناقاً بالغاز اوانهم ماتوا جوعاً ثم احرقت جثثهم بالغاز .

« دخلت المحلة . وحدثت اكبر الاولاد سناً . وهو نحو السابعة عشرة . واكثرهم يظهر اكبر سناً مما هو . وقد فعل بهم نقص الغذاء فعلاً ذريعاً .

« من اندرسن جئنا الى فلسبرغ . وفي محلتها ٥٧٠٠ لاجيء من اليتامى . جلست في قاعة كبيرة . واستدعيت الذكور والاناث لأفهم منهم واقعة حالهم . وكانت السؤالات مرتبة على هذه الصورة :

ما اسمك ؟. جنسيتك ؟. تابعيتك ؟. عمرك ؟ موقفك المدني ؟. لماذا تؤثر فلسطين ؟. كيف صرت لاجئاً ؟. صنعتك ؟. اتريد ان تعود الى حيث كنت ؟.

والمسؤولين من دول شتى : روس : المان : بولنديون : المان هنغاريان رومان؟. الخ الخ . وكلهم يهود طبعاً وكان الجواب من الجميع واحداً ـ فلسطين .

« زرت مستشفى روشيلد بفينا . وكان اللاجئون بالمستشفى

كالانكليز في بلاك هول بالهند سنة ١٨٥٧ اي يكادون يختنقون لشدة الازدحام .

« يتدفق اللاجئون الى فينا من كل صوب . قال لي الدكتور ولكنغ : لقد فحصت ٢٠٠٠ من هؤلاء اللاجئين . فوجدت ٧٠ ٪ منهم اما مصابا بالتدرن او على وشك الاصابة . عندنا ٢٨ مستراحا لأكثر من ٥٠٠٠ لاجئ »

« كان الى يساري قاعة للرجال والنساء معا . وهي مفروشة بالحصر والطراريح . ولا مكان فيها للوقوف . واكثر من فيها مضطجعون على فراشهم . وثيابهم معلقة على الجدران .

« قاعة ثانية ملأى بالحصر والطراريح والفرش كالاولى . وبعضهم مضطجع على الارض في شكل غريب . من ذلك صبية ورجل متمددان معا ورجلاه عاريتان على وجهيهما وغطاؤهما ملاءة رقيقة (في بلد شديد البرد كفينا)

« كثيرون منهم كالسردين في العلب . حتى كاد يتعذر المرور بينهم ولما لم تسعهم القاعة انتشروا خارجا تحت الاشجار . وهم في اسوإ حال . كانوا يطبخون طعامهم على قصاصات الجرائد وعيدان جمعوها من تحت الاشجار .

« زرت ورفيقي قبواً تحت الارض . وفي القبو غرف عديدة بعضها بدون نوافذ . وثياب من فيها معلقة على اسلاك البخار لكي تجف . ارسلت نظري في احدى الغرف ، وهي بدون شبابيك فاذا هي غاصة بالخلق . هنا امرأة مكشوفة الصدر ترضع طفلها — وهكذا .

« الهواء ثقيل جداً الى درجة لا تطاق . فاعتراني الدوار . وكدت

اسقط على الارض مغشيا علي . فأسرعت الى الباب لاستنشاق الهواء النقي . فالتقيت بالدكتور اردهات من ايوان وكان شاحب اللون . فأخبرته اني اتيت الى هنا لاستنشاق الهواء النقي . فقال يا لها من جناية على الانسانية لم اكن اتصورها .

« برحت الباب . وسرت في الظلام في رواق رطب . ارتقيت بعده درجا الى الدور الاعلى حيث شباك يطل على الحوش خارج البناية . فرأيته غاصا بالخلق تحت سماء صافية . لبثت بالشباك ثلاث دقائق انتشق الهواء النقي .

« نزلت بعدها الى مكتب « اولد تروب » فقال انا انذار من الجيش ان لم يبق ملجأ بعد الا في محلة العسكر . صرفنا في الاسبوعات الاخيرة ٢٥٠٠٠٠ دولار لتقويت هؤلاء المساكين جمع اكثرها محسنو يهود أمريكا . اكثرية اللاجئين الساحقة تطلب فلسطين .

« زرنا مكتب الجنرال كلاي الحاكم العسكري العام . في المحلات ١١٨٠٠ لاجيء وخارج المحلات ٣٥٠٠ .

« محلة هاي ادارتها الكليزية . ترسل الى فلسطين شهريا ٤٠٠ لاجيء فليتهم كانوا خمسة اضعاف هذا العدد » . ٥٠١ اكتفي بما اوردت عن اللاجئين . ولا بد وان القارىء قد فهم معدن هؤلاء اللاجئين وعيارهم وما ينتظر من اخلاقهم .

ثانياً — ما رأيت وسمعت بفلسطين

الجمعيات السرية في كل مكان : وندر ان مر يوم لم نستلم فيه مذكرة او اكثر من تلك الجمعيات . ولاسيما ارغون وشترن المخاربين لأجل

حرية اسرائيل . وفي هذه المذكرات تقارير عن اعمال الجيش الانكليزي المخالفة القانون . وبذلك عرفنا شيئاً عن غرض الجمعيتين تجسم لي ذات ليلة الخوف المستحوذ على اليهود بفلسطين واليك الحكاية :

دعتني عائلة يهودية ، عرفتها في غواتالا ، الى حفلة كوكتيل اقامتها على شرفي . ودعت اليها كثيرين ذهبت الى الحفلة صحبة فيرجيت . ولما كنا على مقربة من البيت اوقفتنا كتيبة عسكرية انكليزية لفحص جوازاتنا واوراقنا . ارسلت نظرة الى الشارع فاذا هو خال من المارة لأنه في منطقة محرمة .

كان بيت الحفلة في الدور الثاني في بناية ذات ٣ ادوار . قضيت في الحفلة ساعة بسط . ثم ودعت ونزلت مع رفيقي . وفيما نحن منحدرون على السلم سألني : ماذا فعلت ؟. قلت وبماذا ؟. قال بالفتاة المقنعة .

قلت افتاة مقنعة ؟. لم ارها . وكنت كل الوقت في زاوية البوفيه اتعرف على الرجال المقدمين الي .

قال : قبل عشر دقائق دخلت فتاة مقنعة بقناع اسود يغطي وجهها ومعها فتى في نحو السادسة عشرة من عمره ، يلبس الكاكي والبنطلون القصير . والاثنان يحملان اوراقاً مطبوعة ، جعلا يوزعانها على الحضور . فهممت ان اتناول ورقة منها فسبقني اليها رجل آخر . واخيراً طرح الفتى والفتاة كل ما معهما من الاوراق على الارض وخرجا كما دخلا - صامتين .. وما احد افادني شيئاً عن ذلك .

سمعت هذا من زميلي فقفلت راجعاً الى البيت . فاذا بعض الناس ما زالوا هناك سألت عن الاوراق . فبدت على رب البيت امارات الحيرة ، وقال احرقوها كلها .

قلت : لا احد يصدق انهم احرقوها بسرعة كهذه بينما لا يزال بعض الناس هنا . فلاح في وجه الرجل امارات خوف شديد وقال : يا دولة السفير ! انك لا تعرف ماذا يعني كل ذلك . انه ممنوع بتاتاً .

قلت : لا يهمني ياعزيزي اممنوع ذلك ام متبوع . انا هنا للتفتيش . واراني ملزماً بالاطلاع على كل ما يتعلق بقضيتنا . وان اعرف كل ما يحدث . فتلون الرجل وقال : صحيح ان السلطة لا تقدر ان تفعل بكم شيئاً لأنكم ذوو حصانة . ولكن اذا عرفت انني اعطيتك واحداً من هذه المناشير يساق اهل البيت كلهم وانا معهم الى السجن . ففي كل يوم يسجن عشرات من الناس بسبب هذه المناشير . ويمكثون اسابيع وشهوراً في السجن دون تحقيق معهم .

ثم قال متوسلاً : —

يا سيدي ! لي زوجة واطفال . ولا اريد ان احرم منهم هذه الليلة .

وكان الخوف مرتسماً على محيا الرجل . فأكدت له الا احد يعرف انه اعطاني منشوراً كهذا .

وبعد ان استوثق مني اني سأحرق المنشور حالا بعد قراءته سألني ان انتظره بسيارتي تحت في الظلام . ففعلت . وبعد برهة جاءني من وراء السيارة وسلمني منشوراً مطوياً . وكرر التوسل الا يعلم احد وقال : في يدك اعظم خطر يهدد حياتي .

اخذت المنشور الى البيت . وقرأته . فاذا هو من نوع المناشير التي تأتينا كل يوم . ووفاء لوعدي للرجل احرقته بعد ما قرأته .

ليست هذه القصة وحيدة من نوعها . فقد كنت اخطب مرة في تل ابيب برئاسة المحافظ روكاش وموضوعي «تاريخ امريكا اللاتينية».

فشعرت وانا اخطب بحركة في المكان . ودخلت صبية وفتى يحملان مناشير كثيرة . وجعلا يوزعانها على الحضور . ففي الاول لم افهم ما الخبر ، فواصلت الخطابة . ولكن الفتى جاءني على المنبر وناولني نسخة من المنشور ، وهو بتمام الرزانة . فاخذتها برشاقة وعدت الى الكلام . ولم ينشأ عن ذلك اي تشويش ، ثم خرج الفتى والفتاة .

ولما اكملت الخطبة خرجت ، ولم يظهر المنشور في يد غيري لأن جميعهم اخفوه . ولما جئت غرفتي قرأته فاذا هو كغيره من المناشير .

وقد عرفت ان ارغون وشترن تتومان بيرويغندا واحدة وان هذه المناشير اقنعت الناس بسوء تصرف الانكليز . فاعتقد الناس ان الانكليز انما يتظاهرون بمضادة ارغون وشترن لكنهم يغضون النظر عنهما . والا فكيف يعجز مائة الف جندي عن قمع جمعية كهذه في وسط صغير كهذا ؟ . لا ريب في ان السلطة تعرف رئيس الجمعية . لكنها لا تريد ان تعتقله ليكون لها عذر في استبدادها .

اجراآت الطوارىء

كنت في احد المطاعم مع مدعي عام فلسطين لافتيكي . وكان معنا قاض يهودي ، وبقربنا فتيان وفتيات . كان كل شيء في المطعم هادئاً . والامور جارية في مجراها الطبيعي ، لكن ذلك لم يكن الا ظاهراً فقط . والحقيقة ان كلمات المدعي العام كانت مثيرة . قال : ما قولكم في بلد يعتقل اي كان تحت سمائه دون سابق انذار ، ويزج في السجن الى اجل غير مسمى دون اخذ افادته او دون ان يعرف هو لماذا سجن ؟ .

ما رأيكم في بلد يسجن قائده العسكري ايا كان ويضع تحت المراقبة

اي عائلة كانت مدة سنة لان حربة شهرت في بيته . بل ان القائد يفعل اكثر من ذلك كثيراً ، فيأمر باجلاء اي عائلة ومصادرة املاكها . بل يحكم باعدام المعتقل وهدم بيته في اي شارع كان . فقط لأنه سمع طلق ناري في بيته ؟ . اني اعرف مئات من الحوادث من هذا النوع .

فسألته : وماذا يفعلون بمن يعتقلونه ؟. فقال : - يمكن كل جندي ، وكل كونستابل بفلسطين ان يوقف ايا اراد ويسجنه شهراً او سنة او اكثر دون تحقيق معه . فقط لأنه ارتاب هو به .

اجراآت الطوارئ كثيرة الالتواء . وقد انيط القضاء بجنود من عامة الناس لا يعرفون القانون ولا نظام الحكم العرفي . واذا حكموا ابوم حكمهم ولو بالاعدام ، حكم كهذا لا قيمة له في عين العدالة . بل اكثر من ذلك ان المحكوم لا يؤذن له بزيارة عائلته مودعة . ولا لاحد من اصحابه يزوره . ولا لكاهنه الروحي . ولا المحامي ليكتب له وصيته او يدبر اموره وكثيرا ما ينفذ الحكم حال ابرامه . ا. ب.

هذا كان حديث المدعي العام .

واليك كتابا ورد الي من صاحب التوقيع . وهو يكشف عن واقع الحال بفلسطين .

اورشليم في ١٥ تموز سنة ١٩٤٧

الى مندوب الامم المتحدة غرانادو

سيدي

مع اسمى احتراماتي

كان لي شرف الاجتماع بكم في حفلة الشاي التي عملتها لكم الجمعية الصيونية في بيت عزرا يوحانان. لكني لم اجرؤ ان اكلمكم في مصلحتي

وما حل بي من الضيق مما قامت به السلطة العسكرية الانكليزية منذ ثلاثة اعوام . سجنت اكبر اولادي « هرون » وله امرأة وطفلتان . سجنته دون ادعاء او بيان انه ارتكب ذنباً . ظل مسجوناً مدة باللطرون . ثم اطلقوا سراحه بناء على قرار صحي يوجب ذلك.

وبعد كل جهد تمكن من ايجاد عمل يعتاش به مع عائلته . ولم يمر على ذلك ثلاثة اشهر حتى اعادوه الى اللطرون وتركت زوجته وطفلتاه وهن يخبطن في ديجور من الظلام دون شمعة رجاء .

ثم اعتقل ابني الصغير « موسى » . وارسل الى اريتريا بدون محاكمة ولا جرم وهناك جرح وتألم في محلة العسكر . واخيراً ارسلوه الى كينيا وهو في سن العشرين . فأضاع مستقبله لانقطاعه عن الدروس .

ابنتي الكبيرة « ليئة » : مع انه ما احد رأى منها عملاً ضد الشريعة اعتقلت قبل ثلاث سنين ، وسجنت في بيت لحم ، وقضت زهرة حياتها في السجن ، وهي لا تعرف لماذا . وقد بذلت جهود من جانب اسمى مراتب الامة اليهودية لدى السلطة العسكرية لاطلاق سراح اولاد الثلاثة او واحد منهم . وعبثاً كان ذلك .

ابنتي الصغيرة راحيل . اتمت دروسها . وتعينت معلمة . لكنها كانت ملزمة ان تمثل يوماً لدى السلطة المعانية . وهي لا تعرف سبب هذه المعاملة الشاذة . لكنها تعزي نفسها بانها اقل عناء من اخوتها السجناء وهم ابرياء . فيمكنك ياسيدي ان تتصور تأثير هذه المظالم في الوالد الشيخ والوالدة المريضة .

اصابني مرض مدة سنة . ولم ار نور رجاء بانفراج الازمة العائلية . فاسبل ذيل عطفك علينا يامولاي . وتفضل بالسعي لارجاع اولادي الثلاثة الى احضان والديهم . اثنان منهم بفلسطين والثالث لا نعلم اين هو .

لاحد لا حزاننا . قلوبنا مفعمة غماً . وكرجل دين (معاون سكرتير المجمع) اكل امري الى انسانيتك . راجياً منك ان تمد يد الاسعاف الملوثة بركة لانقاذنا من محنتنا بجبر خاطر عائلة تاعسة . ولا شك في انك كمجاهد لأجل الحرية تنجح في اطلاق سراح اولادي للتمتع بحياة الحرية .

الخاضع لسموكم

الربي يعقوب باروخ

ثالثـــاً :

بعض مناقشات بين البعثة وافراد من اليهود تبين تفكيرهم ونفسيتهم قال احدهم : —

لم تكن بفلسطين سنة ١٩٠٨ بئر ارتوازية واحدة . واليوم عندنـــا ١١٠٠٠٠ دونم تسقى بماء ارتوازية . فصارت الزراعة ضعفي ما كانت قبل ٣٥ سنة . ونأمل ان ستبلغ اضعاف ما هي الآن .

ورفع هذا التقرير الى البعثة اثباتاً لحق اليهود بفلسطين (هذه هي عقلية الجماعة)

وفي حفلة شاي جمعت اربعين شخصاً من الطبقتين الوسطى والعليـا نساء ورجالاً وكلهم ضد التقسيم . قال احدهم : — الا يكفي ان خسرنا شرق الاردن ؟. افنخسر ايضاً قسماً من فلسطين ؟. وقال آخر : — ايمكنك ان تصدق يادونة الـغير ان امم الارض تجهل قضيتنا ؟ ايجهلون ان فلسطين لنا ، ونحن راجعون اليها ؟ هذه عقليتهم ونفسيتهم . وقد تحسب هذه الاقوال من اطراف الشعب . فهوذا حديث رجل صار فيما بعد رئيس وزراء اسرائيل . وهو :

بن غوريون

المكان : نادي الشبان في تل ابيب .

قال بن غوريون : —

نحن ضد كل انتداب ، افرادي وجمعي . فقد افلس الانتداب وما عجز عنه الفرد يعجز عنه الجمع . فالترقي العظيم لبلد كفلسطين تلزمه ادارة حيوية ديناميه . فتح جديد . قرار حاسم . فالعلاج الوحيد لهذا هو ان تحل حكومة يهودية محل الانتداب ؟؟!!!

فالحاجة هي الى هجرة يهودية ودولة يهودية. الاستقلال الصوري غير كاف . وقد ادرك ذلك حصفاء العرب . وايقنوا انه ما لم يرتق العرب اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وعمرانيا فاستقلالهم عديم الفائدة . فحرية فلسطين . وانصاف اليهود والاستقرار في الشرق . كل ذلك انما بيد بسعي الامم المتحدة . فالقوة ضدنا . وهي التي منعت الهجرة اليهودية .

فقال له عبد الرحمن مندوب الهند : —

القوة ضد من يخالف القانون . فاذا انا خالفته فالقوة ضدي .

فحمي وطيس الجدال بين عبد الرحمن وبن غوريون . فتدخل سندستورم الرئيس قال : —

دعنا نرجع في الامور الى اساسها . يقول العرب انهم هم اصحاب البلاد من زمن طويل فلهم الحق في ملكيتها . فما هو ردك عليهم في ذلك؟

بن غوريون : هذه هي دعوى العرب من زمان . وقد رفضت امم كثيرة هذه الدعوى فاذا ان للعرب اقطاعا كثيرة . ولكن اليهود ليس لهم الا فلسطين وهم متعلقون بها .

(حاشية المؤلف : اهذا هو البرهان على ان فلسطين لليهود) ولكن هنالك شرط وهو ان لا نحل محل العرب . ونحن نقبل بهذا الشرط .

جورج غرانادو : ذكرت حضرتك القوة . فاذا استعملت القوة ضدكم أقادرون انتم على الدفاع عن انفسكم ؟ .

بن غوريون : اذا رأيتم ان الحق معنا فاننا سنبذل الجهد في الاتفاق مع العرب فنذهب اليهم . ونقول لهم « اننا عازمون ان نعيش معكم ونحل هذه القضية . أفتقبلون بذلك ؟ فاذا ابى العرب . وقالوا باستعمال القوة فاننا حينئذ سندافع عن انفسنا .

سيمبسك : اذا نحن اسسنا اتحاداً عربياً يهودياً . ونظمنا عدداً متساوياً ٣ يهود و ٣ عرب فهل في ذلك حل المشكلة ؟ .

بن غوريون (يهز رأسه) : كلا : بل ان النتيجة ستكون دوام التوتر بين الفريقين ٣ و ٣ .

ليسكي : فانت اذاً متشائم من حكومة مشتركة .

بن غوريون : بل انا متفائل . ولكن اولاً يجب ان تكون لنا دولة يهودية . فالتعاون مع العرب يمكن متى كنا نظيرهم لنا دولة وحكم ذاتي . وكانت بعثة بيل قد قررت قسمة الارض بين العرب واليهود .

ليسكي : هذا القسمة هي الحل .

بن غوريون : نحن نريد البلاد كلها . لكننا مع ذلك نرضى بدولة محدودة .

ليسكي : ايمكننا ان نفهم انكم تقبلون القسمة ؟ .

بن غوريون : انا على استعداد ان نبحث في الامر .

ثم قال بعد صمت طويل . هنالك سببان لوعد بالفور .

الاول : عطف الانكليز علينا .

الثاني : رغبتهم في مساعدتنا لربح الحرب (العالمية الاولى) قال ذلك واخرج من جيبه كتاباً وارداً اليه من الجنرال سمطس في جنوبي افريقية فيه يبدي الجنرال استحسانه قسمة فلسطين بين العرب واليهود . ثم قام بن غوريون وانصرف .

انتهت مناقشة بن غوريون . وسخافتها الظاهرة لا تأذن لي ان انظر فيها احتفاظاً بمستوى كتابي هذا .

قال غرانادو : —

خرجنا من النادي واذا بالجماهير الغفيرة تملأ الشوارع على وجهها . سببها ان الارهابيين اليهود خطفوا اثنين من الجيش البريطاني ، كان في اللوري ثلاثة . السائق وجنديان في رتبة سارجنت . اطلق الارهابيون السائق واحتفظوا بالجنديين رهائن . لأن السلطة حكمت باعدام ثلاثة ارهابيين . فاعتقل الارهابيون الآن هذين حتى اذا نفذت السلطة حكمها بن عندها اعدم الارهابيون هذين .

الفصل الخامس

مناحيم بيجن

قال غرانادو :

اتانا كتاب من ارغون وفيه : علمنا ان بعض الذين يمثلون انفسهم اجتمعوا بكم . لكن رؤساء ارغون يودون الاجتماع بكم . وحامل هذا الكتاب يدلكم على الطريق : في الوقت المعين (الساعة ٧ مساء) كان الشاب بنتظرنا بالفندق . ركبت وفيرجيت عربة كانت بانتظارنا . سارت العربة بسرعة في شارع مظلم . ثم اشار الدليل الينا ان انزلوا هنا . فنزلنا

وسرنا على الاقدام . وكانت في اثرنا فتاة في نحو العشرين من العمر . قال لنا فريد (من اعضاء الجمعية) اتبعوا هذه الفتاة وسأراكم .

سارت بنا الفتاة في عطفة الشارع ثم لوت الى شارع آخر . واذا بسيارة بانتظارنا . فالتفتت الفتاة الينا . ولأول مرة كلمتنا . قالت : أتريدون ان تركبوا هذه السيارة ؟ . دخلناها واذا بثلاثة رجال فيها ، في يد احدهم مسدس . وفي مؤخرتها سيدة تتكلم بالانكليزية . سارت بنا العربية في طريق ملتوية نصف ساعة حتى اني تعبت . ثم وقفت بنا امام بناية غريبة الشكل . هنا لاقانا فريدم . فتبعناه وقد دخل البناية فكنا في غرفة مظلمة . صفر فريدم ففتح الباب . وظهر رجل يقول : الرئيس بانتظاركم » .

دخلنا قاعة مدورة قادنا فريدم الى باب في آخرها . وقال سأعود اليكم الساعة ١٠ ، قال ذلك وانصرف .

دخلنا الغرفة واذا هي مفروشة فرش غرفة المذاكرة . وفيها رجلان الى مائدة وفتى اروع معهما . وعلى المائدة سلة فواكه وزجاجة خمر . حيانا الرجال تحية الاحباب . وقعدت تجاهه على كرسي الى يميني الفتى الاروع . والى يساري رجل ضخم . الآن نحن امام مناحيم بيجن رئيس الارهابيين وجرى بيننا الحديث التالي :

بيجن : اروم ان تعرفوا اني اقدر سعيكم في انقاذ شعبنا . وقد دعوتكم لأخبركم بغرض منظمتنا . واظن ان مستر سند ستروم اخبركم بحديثنا معه .

جورج : لم يخبرنا شيئاً . وقال مراراً انه لم يجتمع بكم .

ب : اتفقنا على الكتمان . ولكن ليس الى هذه الدرجة ان تخفي

الامر عن اعضاء البعثة ، لكن لا باس عندي نسخة من الحديث منقحة بقلمه . وساوسلها اليكم غداً .

تأملت الرجل الذي عجز مائة الف عن اعتقاله . وقد عينت السلطة جائزة لمن يدل عليه حيا او ميتا . وقد خطف جنوداً بريطانيين من قارعة الطريق . وارسل انذاراً الى السلطة . تحدث الرجل الينا طويلاً ، حديث استاذ الى تلاميذه . فابان لنا انظلام اليهود وجور الانكليز . فقاطعته قائلا : لقد عرفنا ذلك .

ب : اروم ان اوضح لكم ان ليس اليهود فقط . بل العرب ايضا يبغون زوال الانتداب وخروج الغزاة من ارضنا .

ج : لا لزوم للاطالة . ونحن ايضا نروم نهاية الانتداب .

ب (متشائماً) : بريطانيا تخدعكم . وبالرغم من تكرار وعودها فهي لا تريدان تخرج من فلسطين ولو كان ذلك ضد ارادة الامم المتحدة فان وفدها هناك سيغير كل شيء .

ج : انا لا اعرف المستقبل . لكنا سنصوت ضدها لدى الاقتراع .

ب : انا عارف حسن نيتكم . وان كل واحد منكم يدرس هذه القضية . لكن حضراتكم لم تختبروا انكلترا السنين الطوال كما اختبرناها نحن . وقد اتت الى هنا بعثات بريطانية عديدة . ولكن بغير جدوى . واني اعلم انه بالرغم من حسن نيتكم لن يسفر سعيكم عن نتيجة . لكن تأكدوا انا سنظل نحارب حتى يخرج آخر جندي انكليزي من فلسطين . فابنت له اني لا اشاركه في تشاؤمه . وقلت له : —

ج : لسنا كالبعثات الماضية . لأننا لا نخص دولة . ولا مجموعة دول . بل نحن لكل العالم .

ب : ارغون ستحارب حتى يوضع حق اليهود في نصابه .

ج : لسنا نجهل ذلك . انا نسلم معكم .

ب : حسناً . وهذا يقودنا الى النقطة التالية وهي حق اسرائيل التاريخي .

ج : نعرف ذلك جيداً . ولا نتصور حل المسألة بدون رضا اليهود . فانبرى الرجل الضخم للكلام . وجعل يتكلم بلهجة شاخت والفتى الاروع يفسر كلامه ويترجمه . قال : سياسة انكلترا باطلة . ولاسيما انشـاء دولة الاردن .

ج : الاحسن ان نضع حداً للكلام . فلا انتم تقنعوني ولا انا اقنعكم . فقد رأيت باسيد بيجن اني والسيد فيرجيت نود انتهاء الانتداب واستمرار الهجرة الى فلسطين . ولكن لا احد في الامم المتحدة يفكر في اعطائكم كل مطاليبكم . فمسألة شرقي الاردن هي خـارج حدود اختصاصنا . وبين ايدينا فقط قضية فلسطين . وليس امامنا الا حل من ثلاثة حلول لهذه القضية . وتلك الحلول هي : الفدراليون ؛ والكنتونات والقسمة . وانا شخصيا اوثر القسمة .

ب : وهذا ما يراه بعض القواد . لكن انا ضده .

ج : لقد فهمنا مطالبكم . والآن الوقت لافهامكم مطالبنا . انا سنرفع تقريرنا الى الامم المتحدة قبل انتهاء شهرين . ولا يجوز ان تنتهي الهدنة (بين اليهود والانكليز) قبل ذلك . فلماذا لا تنتظرون نهاية مساعينا ؟ .

ب : هل ثبت لك ان الامم المتحدة تريد ان تهادن ؟ . فلـمـاذا لا تهادن انكلترا . الامر راجع اليها فان هادنت هادنا . اذا هي كفت عن سجن اليهود القادمين الى ارضهم فلن تمس الانكليز بضرر . اما اذا استمرت تعترض البواخر ، وتعتقل النساء والاطفال ، وتحول المهاجرين الى قبرص او الى غيرها فسنواصل القتال دون مهاودة . وعبثا حاولت مـع

فيريجيت ان اقنعه بالعدول عن ذاك .

فيريجيت : هذا امر آخر . لقد اعتقلتم اثنين من الجيش البريطاني ، فنأمل اطلاق سراحهما .

ب (ينقر على المائدة) : لقد حكم الانكليز على ثلاثة من رجالنا بالاعدام . وذلك في محكمة غير شرعية . فقبضنا على اثنين منهم كرهائن . ولا حق للانكليز بجيش ومحكمة بفلسطين . وان نحكم على الرهائن قبل انفاذ الحكم برجالنا .

فيريجيت : ولكن ماشأن هذين الجنديين ؟.

ب (يهز رأسه) : انهما من جيش يغزو بلادنا . ويجب ان تذوق بريطانيا ما طبخت . فتح الباب . وظهر فريدم يقول «سيارتكم بالانتظار» فقمت بآخر جهد . وذكرت بيجن بوعد محافظ تل ابيب انه اذا اطلق الانكليز مساجينكم تطلقون سجناءهم . فغضب وقال : لا يحق لمحافظ تلنا ان يتكلم بلساننا فلا علاقة لنا به . ولا سبيل له الى معرفة ما نفكر به وننوي ان نعمله . طبعاً اذا عفا الانكليز عفونا . فتصرفنا متوقف على تصرفهم .

ودعت بيجن وداعاً لطيفاً . فقال : لي عندكم امران : لا تذكروا ملامحي : ولا تسموا غيري . وان احدى نسائنا ستوصل اليكم حديثي مع ساندستورم . فقلت : لا مانع . ٥٠١ .

يظهر لك من هذا ان اليهود في نزاع مرير مع الانكليز . وذلك فشل مخز لسياسة بريطانيا . وهو مظهر ذل ودليل سقوط لانكلترا . ولم اكن اتصور ذلك او احلم بان الانكليز سيقفون امام اليهود هذا الموقف الذليل بعد كل ما خدموهم به

قال غرانادو :

وصلتني نسخة من حديث سندستورم مع بيجن واليك بعض ما فيه .

سؤال : أصحيح ان لكم علاقة بهاغانا ؟ (الجيش اليهودي)

جواب : لما عرفنا بتغير سياسة بريطانيا عب هاغانا للنضال بالاشتراك مع ارغون وشترن . لكن لما لم يخضعوا لنظامنا تركنام .

س : ولماذا تعملون سراً ؟.

ج : لأن الانكليز لا يحسبون تسلحنا عملاً مشروعاً .

س : اهذه كانت سياستكم مدة الحرب (١٩٣٩ — ١٩٤٥) ؟.

ج : لا يعترف الانكليز بنا في حال من الاحوال . وكانوا قد قبلوا معونتنا في الحرب فلم يضطهدونا . فلما القت الحرب اوزارها عادوا الى اضطهادنا .

س : هل دليكم اختباركم على ان التقسيم مقبول عند اليهود ؟.

ج : همنا الحياة لا التقسيم . فاذا ضمن التقسيم لنا الحياة قبلناه .

س : واذا لم يقدم التقسيم مسعى حيوياً فما هي خطتكم ؟.

ج : خطتنا الآن التوقف ما دام الامر في يد الامم المتحدة . واليهود لا يقبلون بايقاف الهجرة . وهاغانا تبذل الجهد لاستمرارها .

س : او كافية قوة هاغانا للدفاع ؟

ج : يؤكد لنا رئيس هاغانا انا نقدر ان نصد اي هجوم . لكن اذا حصل العرب على معونة خارجية كبيرة فلا نقدر .

س : هل فكرتم في الخطر على اليهود الذين في البلاد العربية .

ج : تلك الجماعات دائماً في خطر . وهمنا الاول ان تتسنى لهـا الهجرة الى فلسطين . فـاذا حسب العرب الذين بيننا رهائن عندنا حسبنا العرب الذين بيننا رهائن ايضاً .

س : اي المهاجرين تؤثرون ؟ .

ج : نؤثر الهجرة التي تعمر صهيون .

س : اللمساعدة ام للدفاع؟

ج : الاعتبار الاساسي هو الانشاء عموماً لكن في الوقت الحاضر كل هجرة تساعد هاغانا ، فنرغب في الاقوياء لا في العجزة والحوامـل والاطفال .

س : انفهم بذلك ان غرضكم بالهجرة الانشاء والخدمة الانسانية ؟ .

ج : مقصدنا الاول الحصول على جـوم سليمة . وان يكون ثلاثون في المائة من المهاجرين شباناً بين ١٦ و ٣٥ سنة والباقون عجزة واطفال . وندفع اكثر من ٧٥ ٪ من نفقات السفر .

س : ايمكنكم تقدير الواصلين اليكم سنوياً .

ج : سنة ١٩٤٥ وصلنا ٢٧٠٠٠ عدا ١٧٠٠٠ في قبرص . واكثرنا يرى انه لا يجوز للانكليز الحكم ما لم ينفذوا القرارات الدولية . ونراهم يخالفون انتدابهم بجعلهم فلسطين مستعمرة لمصالح بريطانيا . فعلى الامم المتحدة مسئولية عظيمة . فالارهاب مظهر حيوية اسرائيل . فلا تقدر بريطانيا ان تمنعه .

س : كم عندكم من الجيش ؟ .

ج : عندنا من الجيوش المدربة ٥٥٠٠٠ واحتياط ٣٥٠٠٠ الجميع ٩٠٠٠٠ وفي ارغون ٥٠٠٠ وشترن ٤٠٠ ، ٥٠١ .

انتهت مساعي البعثة فبرحت الى امريكا ونظمت قراراً في ان الحل

الوحيد لقضية فلسطين هي التقسيم ولكن التصويت عليه لم يكن اجماعياً .

قال سندستورم رئيس البعثة : —

لمشروع التقسيم نقط ضعف ونقاط تجاهــل خطرة لكثير من الاعتبارات . وان ذلك يجعل من فلسطين مشكلة فريدة ونسيجاً قائماً بذاته .

ان هذه الاشياء والظروف فتقاً خطيراً في القضية العربية . وعلى هذا اذ نضطرنا الظروف الى تأييد مشروع التقسيم . فاننا نؤيده بقلوب مثقلة من الشبهات في جدواه .

لسنا متأكدين من انه مشروع عادل تماماً . ونشك في ان يكون عملياً . ونخشى ان ينطوي على اخطار كبرى .

هذا كلام رئيس البعثة واعقل رجالها .

وكانت خطب دعــاة التقسيم في فلاشنغ ميدوز مليئة بالشكوك والأسف . بل قد كانت تنطوي على كثير من الاعتذارات .

ولا اريد ان اطيل في هذا الباب .

ان العملية لاشرعية . وهي تنطوي على غمط العرب حقهم والسير مع الهوى لا مع الحق والقانون .

القسم الرابع

الفرقاء الاربعة

الفرقــاء الاربعـة . هم الذين لهم الصق علاقة بقضية فلسطين وهم الانكليز والامريكيون واليهود والعرب . ولي موقف ونقد وحكم وخطاب لكل منهم . وهذه الفصول الاربعة اهم ما في كتابي هذا .

الفصل الاول

الانكليز

لست اجهل ان صميم الانكليز يكرهون اليهود . ولكن الذي خدم شهوة لليهود هو الحكومة الانكليزية وليس الشعب الانكليزي . فأخذ الشعب بجريرة الحكومة على ان تصرف الحكومة الانكليزية . هذا اضر كثيراً في مصلحة بريطانيا .

كان لبريطانيا في شعوب الشرق عامة ، وعند العرب خاصة ، مكانة تنطح الجوزاء . وكانت تلك المكانة في النفوس مقرونة بالمحبة والثقة والاعتبار .

ولكن بقضية فلسطين . وما عاصر قضية فلسطين ، هوى ذلك البرج الشامخ الى الحضيض . وزال ذلك الحب والاحترام . وصار الشرقيون يرون الانكليز بغير العين التي كانوا يرونهم بها قبلاً . ودعنا ننظر في القضية نظراً علمياً حقوقياً لنرى هل ظلم الشرقيون الانكليز في تغيير رأيهم بهم .

اولا : تصريح بالفور

مر بك ان وعد بالفور اليهود بوطن قومي في فلسطين صدر في ٢ ت سنة ١٩١٧ . يوم لم تكن فلسطين للانكليز . والسؤال الاول امامنا هو هذا : — بأي حق ، وعلى اي اساس اعطى بالفور هذا الوعد؟. ان المبدأ العام المعترف به عموماً ان الانسان لا يجوز له ان يهب ما لا يملكه . فكيف صح في رأي «حكومة جلالته» ان تعد اليهود بأرض لا يملكونها فيحق لنا ان نقول للانكليز من اعطاكم هذا السلطان ؟.

والاسوأ من ذلك ان بريطانيا داست العدل في انها نفذت هذا الوعد

بالقوة . وارغمت العرب - بالحديد والنار - على قبول اليهود بينهم . ومنحت اليهود حق التملك في ارض ليسوا من اهلها . العرب سكان البلاد. فلما ابدوا المقاومة ، ولهم كل الحق في تلك المقاومة ، فـــامت انكلترا لاضطهادهم وتعذيبهم . فاحلت بهم اقسى العقوبات وعذبتهم عذاباً اليماً . واعدمت كثيرين منهم . وانتزعت فلسطين من العرب بالقوة واعطتهـا لليهود . وذلك يعني اعظم سرقة في تاريخ البشرية . فكيـف يمكن الا تسقط هيبة بريطانيا وقد ارتكبت هذه الجريمة . نظرت شعوب الشرق في ذلك فاكبرته وانكرته . فخسرت بريطانيا - صفقة واحدة - قلوب اكثر من اربعمائة مليون من العرب والمسلمين . ويظهر لي ان هبـوط الاسهم الانكليزية في الشرق لا يليه صعود . هذا هو الرقم الاول .

ثانيا : تسليح اليهود

ان انكلترا نزعت سلاح العرب وسلحت اليهود ليذبحوا العرب . قد يستغرب القارىء هذا الكـلام . ولكن هو الواقـع . والانكليز هم الفاعلون . واليك البيان :

اعلنت السلطة الانكليزية بفلسطين وجوب نزع السلاح من جميع السكان ، يهود وعرب . فحمدنا لها ذلـك امـــلاً ان يوصد باب الشر . فنزع العرب كل سلاح . وكانت السلطة العسكرية تنكر على العربي حمل سكين يقشر بها الخيارة . هذا عهدنا بعدالة بريطانيا .

ويوم انسحب الانكليز مـن فلسطين في يوم ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ ظهرت عند اليهود اسلحة وذخائر كانت كافية لمحاربة سبع دول عربية والتغلب عليها والسؤال امامنا .

من اين حصل اليهود على هذه الاسلحة ؟. هنالك فروض ثـــلاثة

ننظر فيها واحداً فواحداً .

الفرض الاول : ان اليهود جلبوا هذه الاسلحة معهم من اوربا. أصحيح ان شراذم اليهود الذليلة الواردة تباعاً من اوربا كان في امكانها ان تصحب او تجلب تلك الاسلحة والذخائر والاعتاد الحربية ؟ واذا نحن اقدمنا على فرض المستحيل، وقلنا نعم اليهود جلبوا الاسلحة معهم من اوربا،فكيف ادخلوها الى فلسطين ؟ الجمارك في ايدي الانكليز فهي القابضة على مفتاح البلاد . فلا يدخل فلسطين كستبان او دبوس دون اطلاع السلطة الانكليزية . وبذلك يكون الانكليز مسئولين عن دخول هذه الاسلحة البلاد . فهذا الفرض لا يمكن العمل به . ولو صح فلا يبرر الانكليز .

الفرض الثاني : ان اليهود انشأوا معامل حربية بفلسطين . وفي تلك المعامل صنعوا الاسلحة والذخائر افيمكن ذلك وبدون اطلاع الانكليز ؟. انا لا اظن .

فاولاً ان انشاء معامل حربية بفلسطين تصنع مدافع ثقيلة وديناميت وطائرات حربية امر بعيد الاحتمال . وان فرضنا انه محتمل افيمكن ان يقوم اليهود بهذا العمل دون اطلاع السلطة البريطانية التي امرت بنزع السلاح ؟ .

ان اخفاء الرمح في الجيب اقرب الى التصديق من امكان اخفـــاء معامل حربية بفلسطين عن علم السلطة العسكرية الانكليزية . فان دخان تلك المعامل ومطارقها القارعة والوف اطنان الحديد المستوردة اليهـا ، والمسافات الواسعة التي تشغلها تلك المعامل لا يمكن ان تخفى .

فان كان اليهود لم يجلبوا تلك الاسلحة معهم من اوربا حسب الفرض الاول . واذا صح انهم لم يصنعوها في معامل انشاوها بفلسطين حسب الفرض الثاني. لم يبق معنا الا الفرض الثالث وهو : —

ان الانكليز الذين سلحوا اليهود . يقول ليليانتال في كتابه الشهير « ثمن اسرائيل ». ان الانكليز سلحوا اليهود يوم معركة العلمين ليدافعوا عن انفسهم في ما لو فاز الالمان واخترقوا وادي النيل الى فلسطين .

فلا اجادل ليليانتال في الامر . فاقبل منه القول : — ان الانكليز سلحوا اليهود .

فهل سلحوا العرب ايضاً ليدافعوا عن انفسهم ؟ .

ولماذا لم يستردوا الاسلحة من اليهود بعدما فازوا في معركة العلمين وربحوا الحرب ؟ .

لماذا ابقوا الاسلحة في ايدي اليهود ؟ .

مع العلم ان العرب كان عزلا من كل انواع الاسلحة ؟ .

ثالثاً : فلسطين والاردن

هنا سياسة انكلترا مكشوفة كما سترى :

ما هي شرقي الاردن ؟.

وما هي فلسطين ؟ .

وكيف تصرفت انكلترا بكل منهما ؟ .

الجواب : —

شرقي الاردن - سنة ١٩١٧ .. مديرية صحراوية تابعة دمشق . قليلة السكان عديمة العمران .

اما فلسطين فبلد عامر وذو شأن .

لم يكن في شرقي الاردن مدينة واحدة . ليس الا القرى مبعثرة في عرض الصحراء .

اما فلسطين ففيها من المدائن حيفا ويافا وعكا وغزة ونابلس والناصرة وطبرية ورام الله . وفوق الكل فيها القدس الشريف .

شرقي الاردن بعيدة عن البحر الا بحر الموت . اما فلسطين فيساورها البحر الابيض المتوسط من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب .

سكان شرقي الاردن مائة الف .

وسكان فلسطين اكثر من ستة اضعاف ذلك . فاذا كان لأحد القطرين مزية على الآخر فالمزية لفلسطين على الاردن . لا لهذه على تلك فلماذا عكس الانكليز الآية ؟ . لماذا جعلوا شرق الاردن دولة مستقلة ذات سيادة ولها ملك ووزارة ورئيس وزارة وبرلمان وجيش منظم تام القوة والتموين ، في وقت ابقت فلسطين مكبلة باغلال الانتداب ؟ .

كان يجب ان تكون فلسطين هي الدولة المستقلة وشرقي الاردن تابعاً لها .

هنا الغرض . والغرض مرض . هنا افتضاح السياسة البريطانية . اقول :–

ان البروغرام المرسوم امام الانكليز هو سرقة فلسطين من العرب واعطاؤها لليهود . وهذا لا يتسنى لها مع استقلال فلسطين . فلو استقلت سنة ١٩١٨ وسكانها ٩٤ في المائة عرب و٦ يهود فحكمها يكون عربيا . والحكومة العربية تمنع الهجرة اليهودية . فلا يمكن وجود شعب يهودي في البلد . لذلك منعت انكلترا استقلال فلسطين . وابقتها تحت سلطانها وفتحت باب الهجرة اليها لليهود الى ان يكثر العنصر اليهودي فيها ويستطيع ان يبطش بالعرب وينفرد بحكم فلسطين .

هذه هي سياسة انكلترا بفلسطين ، وبهذه السياسة اغتاظ العرب .

اما شرقي الاردن فكان الانكليز يرومون فصلها عن فلسطين حتى لا

يدخلها اليهود .

فأنشأت بريطانيا فيها دولة عربية . وبالطبع ان الدولة العربية تمنع هجرة اليهود اليها والنتيجة ان لا يهودي بالاردن ، وبذلك اغتاظ اليهود . فكانت سياسة انكلترا بشرق الاردن عربية وبفلسطين سياستها يهودية . وبذلك كانت بريطانيا دلالا قذراً لم ترض الشاري ولا البائع .

فالعرب غضبوا لانها حرمتهم من فلسطين واليهود نقموا لانها حرمتهم من الاردن .

ثم ان اليهود يحتقرون الانكليز لانهم حابوهم فانتزعوا فلسطين من العرب واعطوها لليهود . وهذا ضد الحق . وبذلك انكشفت عورة الانكليز لليهود . ومن انكشفت عورته فهو محتقر . وانكشفت عورة الانكليز بفلسطين اكثر في انهم حابوا اليهود ودلعوهم كثيراً حتى انهم ما حاسبوهم عن جريمة صنعوها كل الزمان . فاغتالوا اللورد موين . ونسفوا فندق داود . وخطفوا الجنود من قارعة الطريق وقتلوهم . واتوا بمنكرات فظيعة . وفي كل ذلك لم تعاقبهم بريطانيا . فاحتقرهم اليهود لتعوجهم .

اري والحزن ملء فؤادي ان بريطانيا ذلت بفلسطين وداس اليهود عزة نفس بريطانيا بالقدم لا دولة ذلت في الارض ذل انكلترا بفلسطين حتى كان اليهود يقبضون على الضابط الانكليزي في قارعة الطريق . وينزعون عنه ثيابه ويجلدونه تحت سماء يخفق فيها يونيون جاك .

وهكذا تتدهور الامبراطوريات .

ففي الامس تدهورت تحت سماء فلسطين الامبراطورية العثمانية .

وفي الامس الاول تدهورت الامبراطورية الاسبانية .

وفي الامس الابعد تدهورت الامبراطورية الرومانية .

واليوم نشاهد تدهور الامبراطورية البريطانية وخنوعها لليهود من افعل العوامل في تدهورها حتى قال احد الانكليز ان انكلترا تحت قدم اليهود England under the heel of the Jwes

بقي ما اخجل ان اخطه بقلمي . وهو الرقاعة والخرقة . رقاعة السياسة الانكليز وخرقتها . الرقاعة في اصدار تصريح بالفور .

بدات الهجرة اليهودية الى فلسطين سنة ١٨٨٢ والى سنة ١٩١٧ لم يحدث بينهم وبين العرب اي نزاع وفي سنة ١٩١٤ كان عدد اليهود بفلسطين ٩٠٠٠٠ نفس ، وفي سنة ١٩١٥ قام الاتراك بعمل جديد بتأثير الالمان فاجلوا كثيرين من اليهود عن اوطانهم فطردوا نحو ٤٠٠٠٠ من اليهود من فلسطين ، وقد اغضب هذا العمل العرب لأنه ظلم . فلما فاز الانكليز ، وطردوا الالمان والاتراك من فلسطين كان لليهود حظ الرجوع الى ديارهم . فعاد اليهود وكلنا واثقون انهم تحرروا من ذلك الظلم . هذا دليل اخلاصنا وعدالتنا . ولم يكن يومذاك مراقبة او احصاء . فالباب مفتوح لدخول اليهود الى فلسطين . ولا اعتراض من جانب العرب مهما يدخل من اليهود اليها .

فالذي نبه العرب واقامهم للدفاع انما هو وعد بالفور . هذا الوعد عبارة عن طبال مرافق جماعة لصوص. يضرب بالطبل ويصيح باعلى صوته

ياقوم انا آتون لنسرقكم . هذا هو تصريح بالفور .

يا عرب انا آتون لننتزع منكم فلسطين ونسلمها لليهود . فهذا العمل يدعى رعونة عندنا لا فائدة منه وقد كان سبباً مباشراً في نشوء العداء بين العرب واليهود .

المخرقة

اما المخرقة فتاخذ صورة اقبح . وذلك ان الانكليز بعد حرب سنة ١٩٤٨ بين اليهود والعرب والدماء لم تجف بعد . والعرب لابسون اثواب الحداد . ومليون منهم متشردون لا مأوى لهم اقام الانكليز يقدمون لهم – بالاشتراك مع تركيا وفرنسا – اقتراحا مفاده ان ينضوي العرب واليهود معاً تحت لواء بريطانيا ليحاربوا روسيا . هـذا مفاد الاقتراح

قدم هذا الاقتراح :

اولا : في ابعد الاحوال ملائمة لتقديمه .

ثانياً : وبيد ابعد الناس عن قلوبنا وهم الاتراك والفرنسيين والانكليز .

ثالثا : للانضواء مع اكره الخلق عندنا – اليهود –

رابعا : لنرتكب جريمة البغضاء ، لاناس ما اساءوا الينا – الروس – افتحت لواء خاننا اعلوه ننضوي ؟. او مع اعدى اعدائنا وهم اليهود ؟ او ضد روسيا البريئة ؟. وكأن انكلترا رأت ان فضلها وجميل صنعها مع العرب غير كاف ليجعل اقتراحها مقبولا . فلكي تجعله اكثر قبولا صحبت معها دولتين بيننا وبينها ما صنع الحداد وهما تركيا وفرنسا . اتركيا التي استعبدتنا واذلتنا ٤٠٠ سنة .؟ او فرنسا التي لم ننس فضائحها ؟. امع هاتين تأتينا يا انكلترا ؟. فلا تؤاخذينا اذا حسبنا ذلك مخرقة . نعم مخرقة وحماقة . فقد رأيت في بريطانيا التعدي والظلم والسرقة في انتزاع فلسطين منا . ثم رأيت الرعونة في تصريح بالفور والمخرقة في الاقتراح الاحق . فماذا بقي لنا لنحترم الانكليز ؟.

لم يترك الانكليز اي مستند لنا لحبهم واحترامهم . وما ظلمناهم ولكن هم كانوا لأنفسهم يظلمون .

الفصل الثاني

الامريكيون (ترومن)

ان مؤامرة بريطانيا واليهود على العرب امر يتطرق اليه الشك ، مع ذلك نحيت الشعب وحصرت اللوم بالحكومة .

اما امريكا وعلاقتها بهذه المأساة فتوجب علي انسانيتي ان استثني الشعب واكثرية الموظفين من تبعتها واحصر تلك التبعة في شخص واحد وهو ترومن .

اولا : في التحيز المتصوص .

ثانيا : في تشجيعهم ومساعدتهم .

ثالثا : في الضغط على المانيا الغربية لتساعدهم تحت اسم تعويضات فاذا لم يكن ترومن المجرم الوحيد في قضية اليهود والعرب فهو ولا ريب بين المجرمين .

تنبيه : بالقلم العريض

في كلامي في ترومن لا اعني شخصيته . بل سياسته . قد يكون ترومن رجلا تقيا ورعا . فلا شأن لي في شخصه . فسياسته اعيب . كذلك الانكليز . ففيهم افاضل احترمهم واحرص على حبهم . ولكن سياسة بريطانيا اعيب لا اشخاصها . وفي الامة اليهودية افاضل كرام وانبياء . واذكر افضال كثيرين فيهم وكرم نفوسهم . ولكني اهدف الى الامة وسياستها اعيب . ولا دخل لي في الشخصيات .

فارجو من القارىء ان ينتبه الى ذلك فانا اعيب سياسة ترومن لا شخصيته . اولا تحيز ترومن لليهود ضد الحق وضد حكم الضمير الصالح . اسمع ماجرى في الخلوة بالبيت الابيض :

امر ترومن الممثلين السياسيين في الشرق الاوسط بالقدوم اليه ، فجاءوه من مصر وسورية والعراق ولبنان وشرق الاردن ومن جزيرة العرب . وتشرفوا بحضرة رئيس الولايات المتحدة في بيته ثم ان الرئيس سألهم ما رأيهم وحكمهم في قضية العرب واليهود بفلسطين .

فرفعوا اليه قراراً اجماعيا فيه رأيهم وحكمهم . وتلا ذلك القرار على مسمع ترومن السيد وردزورث وزير اميركا المفوض بلبنان يومذاك . وشغلت قراءة ذلك القرار عشرين دقيقة . سمع ترومن كل كلمة منه مطرقا . واخيراً رفع رأسه وقال : —

آسف ايها السادة : اني مسئول لمئات الالوف من اليهود العاملين معي في انجاح الصهيونية . في حين لا يوجد مئات الالوف من العرب الناخبين الذين يصوتون لي ولحزبي .

هذا هو كلام ترومن لرجال في خلوتهم . وفيه امران .

الاول : ان ما اقدم عليه ترومن عمل هو منكر .

الثاني : انه باع نفسه لليهود باصوات الانتخاب فلم يقل لرجاله الخطاة . واني لعلى صواب ، وان عملي شريف . لانه ليس من ذلك بل اعتراف واعتذار . ولا يمكن اخفاء الحقيقة ، ولا الدفاع عن ترومن .

راوي هذه القصة الكولونيل ادي اعرفه واعرف والديه وجديه . واؤكد انه رجل صادق وامين . [وقد نشر ذلك في جريدة الحياة البيروتية في ت ٢ سنة ١٩٥٣] . فاذا تحيز ترومن لليهود ليس عن اخلاص بل لغرض والغرض مرض .

ارسل ترومن ، في ربيع سنة ١٩٤٥ لصديقه اتلي ، رئيس وزراء بريطانيا يبدي رغبته في تهجير ١٠٠٠٠٠ يهودي الى فلسطين قبل نهاية ذلك العام . هذا الاقتراح او الرغبة المتطفلة يعاب من وجوه عديدة .

الاول : ان ترومن يتدخل في ما لا يعنيه . ترومن رئيس الولايات المتحدة الامريكية . وفلسطين ليست من تلك الولايات . فاي حق له فيها ؟. فليس من اختصاص ترومن ادخال الناس الى فلسطين او اخراجهم منها . بل ان ترومن لا سلطة له على ادخال الشخص المفرد الى الولايات المتحدة التي هو رئيسها . لأن ذلك من اختصاص دائرة المهاجرة . فاذا كان ذلك لا يجوز له في بلد هو رئيسها فبالاحرى لا يجوز له في بلد اجنبية . والادب يمنع الانسان في التدخل بما لا يعنيه .

الثاني : ان هذا الاقتراح غير عملي . فمنشأه التسرع والغرور . ودليلي على ذلك انه قد مر سنة ١٩٤٥ و١٩٤٦ و١٩٤٧ ولم يدخل ذلك العدد من اليهود الى فلسطين . واذا تعقلنا الاعتبارات الملابسة هذا الامر رأيناه امراً لا عقليا . وباعتبار بعض مفاعيله يحسب من الجرائم . والظاهر ان ترومن لم يفقه كيف يستعمل سلطته . فلقد اكثر العقلاء نقد عمل ترومن حتى اوادم بلاده . ورأوا في ذلك خطراً شديداً على مكانة امريكا . وذلك باعتبار امور اذكر منها .

١ : الحق الشرعي ٢ : صعوبات النقل ٣ : الصحية ٤ : الاسكان ٥ : الاخلاقية .

ان دخول اجنبي الى بلاد غيره امر خاضع لقوانين وروابط لا يجهلها ترومن . وصعوبات النقل في آخر سني الحرب يجعل انفاذ رغبة ترومن هذه من رابع المستحيلات . لندرة وجود بواخر في ذلك الحين تحمل كل هذا العدد من اليهود الى فلسطين . اذكر ان بريطانيا في مثل ذلك الظرف استأجرت سفينتين من اليابان ، وهما لا تزالان بدار الصناعة باجرة سنوية هي مضاعف ثمنها . وذلك لشدة حاجتها لنقل الجنود . الى هذا الحد كان النقل في آخر الحرب صعباً . وترومن يطلب نقل ١٠٠ الف

مهاجر من اوربا الى فلسطين مباشرة . وهو مطلب قد تعجز عنه الآلهة ومثل ذلك يقال في امر الاسكان .

اما المانع الصحي فيفوق كل تلك الاعتبارات . وقد مر بك ان ٧٠٪ من اولئك اليهود اما مصاب بالتدرن او هو على وشك الاصابة به . هذا مرض واحد . وهنالك امراض عديدة كالتراخوما والبلهارسيا والانكلستروما والتيفوئيد والتيفوس والجرب والملاريا والسيفلس . فاذا كان ٧٠٪ مصابين بمرض واحد . فكم بكل هذه الامراض .

والاخلاقية : هي بيت القصيد في امر الهجرة . فكم واحد بالالف يصلح للهجرة من تلك الحثالة التي مر بك ذكرها من هنا ترى ان طلب ترومن غير عملي .

الانسانية : وقد يقال ان الانسانية قادت ترومن الى هذا الطلب . فاين انسانيته وقد رأى ما جرى للعرب ؟ الانسانية نور الهي يشع الى كل الجهات ولا تنحصر في جانب واحد . فالانسانية لا تسمح بظلم مليون عربي لأجل خدمة ١٠٠ الف متشرد يهودي . امن الانسانية ان نغرق عشرة اشخاص لكي ننتشل واحداً من الغرق . ان تشريد مليون عربي وسلب اموالهم وارزاقهم هو عمل لا انساني . قال ليلنثال اليهودي في كتاب ثمن اليهود ص ١٨١ ما نصه : —

« لقد وجهت الامم المتحدة ضربة قاضية للمبادىء الانسانية والحقوق الدولية بتسرعها في معالجة القضية الفلسطينية باساليب بعيدة عن التروي والاخلاص » وقال : « ان نتيجة قرار التقسيم — تقسيم فلسطين — ظهرت من مراكش الى كراتشي تبين ان كرامة الولايات المتحدة وحليفاتها قد تدهورت الى ادنى الدركات » هذا كلام يهودي امريكي .

شاءت الاقدار ، او كما يقال على غفلة من الاقدار . وانشئت دولة اسرائيل في ليل ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ وحملت البرقيات اخبارها الى واشنطن دي سي . فلم يصبر ترومن الى صباح الغد . فوصل في الحال يعترف بها قبل شروق شمس الصباح . فاعترف بدولة اسرائيل قبل ان تقطع سرتهــا .

دعك من نقدي وانا عربي . واليك نقد رجل امريكي فاضل هو الدكتور بروز استاذ الكتاب المقدس في مدرسة اللاهوت التابعة لجامعة ييل . الف هذا الرجل كتابا في القضية الفلسطينية اسماه « اسرائيل جريمتنا » . رأيت ان اقتبس منه ما يبين رأي الامريكي العاقل النزيه .

جاء في ص ٨ : هذا كتاب الامريكيين النصارى ؛ من امريكي نصراني اقض مضجعه ما حدث بفلسطين . لقد حلت مظالم فظيعة . وهذا الكتاب دعوة الى المحاكمة الاخلاقية الشخصية .

ص١٠ : ولما كنت أومن اشد الايمان ان الصهيونية مخطئة في الاساس والى حد بعيد ؛ فعوامل وجيهة تدفعني الى كتابة هذه الفصول .

كانت فلسطين آهلة بالسكان قبل مجيء اليهود اليها . وقد ابى سكانها قيام دولة يهودية في بلادهم . وها هم اهالي فلسطين اليوم يعانون ضيقا وبؤسا وتلتاعهم لاجئون فقراء ومعدمون وبلا مأوى . وبالرغم مـــن الفكرة السائدة في امريكا لا يزال الصلح بعيد المنال بين اسرائيل والعرب .

ص١١ : كلنا مسئول : الانكليز والامم المتحدة والولايات المتحدة ومسيحيو العالم والعرب . ولكن الانصاف يقودنا الى الاعتراف ان شعب فلسطين العربي الذي تحمل القسط الاكبر من العذاب لم تكن له يد في حصول ذلك العذاب . وقـــد اصيبت مكانة امريكا في الشرق

الاوسط باعظم الاضرار . وحقيقة لا يتسرب الشك اليها ان فلسطين لا تحل المشكلة اليهودية .

ص ١٣ : اوقف العرب اعمال العنف في اثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) في حين لجأ اليهود لأعمال الارهاب . وساءت الاحوال بفلسطين الى درجة حملت بريطانيا على احالة امرها الى الامم المتحدة . وفي ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ انشئت دولة اسرائيل . وكنا في طليعة المعترفين بها . وفي اذار ١٩٤٩ وافق المجلس على انضمام اسرائيل الى الامم المتحدة .

ص ١٦ : تدفق المهاجرين على هذه الدولة فخلق مشاكل .

ص ٢٠ : وكثيرون ممن جاءوها في حال سيئة اخلاقياً وصحياً .

ص ٢٤ : ولابد لليهود من اختيار احد امرين : تقييد الهجرة والتوسع الاقليمي (اي محاربة العرب لانتزاع بلادهم من ايديهم) .

ص ٢٥ : (الديانة) :

قال وزمن : يجب ابعاد الديانة الى الكنيس او الى بيوت الذين يريدونها . ولا يجوز فرض سلطانها على وزراء الدولة . ان كل محاولة في تقوية القانون الديني يهدد اسرائيل .

ص ٢٧ : كانت البلاد آهلة بالسكان قبل ابتداء الهجرة اليهودية اليها . ولم تكن مجاهل خالية كما كان الصهيونيون يقولون . فيها ٦٩٠٠٠٠ نفس من العرب . ومن ابرز اسباب اللامبالاة التي يبديها الامريكيون تجاه اضطرار عرب فلسطين الى الهجرة عن اوطانهم . الاعتقاد الشائع انهم ليسوا الا فئة قليلة من البدو تسكن الخيام . ان رجلاً حسن الاطلاع كمستر وايلز ليكتشف عن سوء فهم عجيب بقوله : ان النصارى واليهود

رالقون ربع سكان فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى . وان معظم السكان ليسوا الا من البدو الرحل . ولنوضح قبل كل شيء ان نصارى فلسطين عرب . وقد قاوموا الصهيونية . ولهم كل الحق ان يكونوا مع المسلمين لا مع اليهود . وان اكثر سكان فلسطين زراع يقطنون قرى ثابتة والباقون ارباب مهن وصنائع يسكنون المدن .

يذكرني قول مستر وايلز هذا باليهودي الذي اعترف بالخجل انه جاء الى فلسطين وهو يظن ان المستعمرات اليهودية هي كل الاماكن الماهولة فيها . حتى اذا وصلها راى في غمرة من الدهشة ان البلاد تغص بقرى عربية لم تكن مرسومة في الخريطة التي كانت معه .

ص ٣٠ : كان سكان الدولة اليهودية التي خططها تقسيم سنة ١٩٤٧ يتالفون من ٤٠٪ عرب و ٦٠٪ يهود . اما الدولة العربية فتتالف من ٩٩٪ عرب و ١٪ فقط يهود .

ص ٣١ : قاوم العرب الهجرة اليهودية الى بلادهم . ولهم كل الحق في هذه المقاومة . ولن يكون في مقدور الاجيال المتطاولة استئصال كراهية العرب لليهود . وكان كثير من الاضطرابات نتيجة الذعر بان اليهود سيذبحون العرب ذبح الاغنام . ولا جدال ان العرب كانوا راغبين في الامن والسلام .

ص ٣٣ : نزح كثيرون من العرب عن بيوتهم التي في احياء يهودية . ولم ينزح جميع هؤلاء باختيارهم . انا اعرف ذلك جيداً . وقد ساعدت بنفسي عائلة عربية في الرحيل اذ امرها اليهود باخلاء المكان قبل ٢٤ ساعة . والحق ان مجزرة دير ياسين في ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ اخذت فترة من الهول والذعر في كل البلاد حتى جلا الاكثرون عن حيفا . وقد ابلغ الكونت برنادوت مجلس الامن في تموز سنة ١٩٤٨ ان القوات الاسرائيلية

هاجمت ثلاث قرى عربية جنوبي حيفا واخرجت منها ٨٠٠٠ عربي . وجاء في حزيران سنة ١٩٤٩ ان ٩٤٠٠٠٠ عربي - من سكان فلسطين يقيمون في البلاد العربية المجاورة . وقدم الاردن في حزيران سنة ١٩٤٨ شكوى الى الامم المتحدة ان ١٥٠٠ عربي اخرجوا من ديارهم بقوة السلاح .

س ٣٥ : كتب الي عربي من بيت لحم انه كان يعيش بالقدس مع عائلته ، وهو آخر من غادر القدس . قال :-

وجدتني في ٢٤ ايار في الجحيم . فاكرهت على اخلاء بيتي اذ تعذر علي ان اجد طعاماً لاطفالي الجياع . فحملت ما امكن حمله من عفشي الى بيت لحم تاركاً كل شيء في بيتي الذي هجرت . واستاجرت غرفة في بيت لحم نستعملها لكل شيء . ففيها ناكل . وفيها ننام . وفيها نستقبل الزائرين . اسفي شديد لضياع مكتبتي وفيها ٢٥٠٠ كتاب . وآخر ما بلغني عن ان اليهود نهبوا جميع بيوت العرب بالقدس وان بيتي هدم الى الاساس . الحال العامة اكثر مما تستطيع ان تتصور . مئات من العائلات تعيش على اقل طعام . وكثيرون من الاطفال اصيبوا بداء الكساح لسوء التغذية . واصابهم السل والتيفوس والتيفوئيد والجدري وغيره من الامراض . مئات من العائلات تعيش في الكهوف بدون غطـــاء .

زرت احد اقاربي بالقدس . وكم كان تعجبي حين وجدت ابنته البالغة سنتين من العمر ملقاة على الارض نصف ميتة بسبب داء الكساح . فن مع الاسرة المؤلفة من ستة انفس وكلنا في غرفة واحدة لا تزيد مساحتها عن مساحة مطبخ امريكي . واخيراً مات عدد من اللاجئين بسبب الثلوج في نابلس ورام الله . معنويات الناس آخذة في الهبوط .

ص ٣٧ : لماذا هبت الدول العربية هبة رجل واحد في وجه اسرائيل؟
قد يقال ان مصر والاردن تطمعان في ضم بعض قطع من فلسطين الى بلادهما . ولكن اوسع الناس خيالا لا يستطيع ان ينسب ذلك الى العربية السعودية ولبنان والعراق . وكل ما في الامر ان هذه الدول لا تريد ان تقوم دولة يهودية في جوارها . ولماذا كان كل الامريكيين غير اليهود يعطفون على قضية العرب . ذلك غير راجع الى كرههم اليهود . فكثيرون منهم ذهبوا الى الشرق وهم اميل ما يكون الى الصهيونية . فالاساس الوحيد لمعارضتهم هو اعتقادهم الجازم ان الصهيونية تناقض الحق من الجهة الاخلاقية . لأنها تنطوي على ظلم صارخ لعرب فلسطين.

ففي تقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية في جزء منها انتهاك صريح لحرمة العرب . وبخاصة العيش بطمأنينة وسلام في بلاد آبائهم . كذلك انتهاك لحق اختيار الحكومة التي يريدونها . فالذين يعارضون الصهيونية يبنون معارضتهم على اساس ايمانهم بان لا عدالة من غير تطبيق المبادىء الواردة في نقاط ولسن الاربع عشرة .

وضعت جمعية الامم نظام الانتداب لاعداد الشعب للحكم الذاتي فمن واجب الدولة المنتدبة ان تعامل البلد الذي تحت انتدابها معاملة تتلاءم مع الغرض من الانتداب . اما فرض حكومة على شعب لا يريدها فهو في احسن حالاته ، جوهر الاستعمار .

ولما اعلن الشيخ اوستن في نيسان ١٩٤٨ ان مصير فلسطين يجب ان تعينه بريطانيا وفرنسا واميركا عارضه سمنر وايلز بان معنى ذلك هو العودة الى الايام القديمة . التي فيها كانت الدول الكبيرة تقرر مصاير الشعوب كأنها قطيع من الغنم .

ص ٤٠ : ومثل ذلك التصرف بمقدرات فلسطين من دون موافقة اهلها .

وان اقامة دولة يهودية بفلسطين لا يمكن ان يدافع عنه بصورة عقلية الا من طريق الطعن في صلاحية المبدإ القائل بحق الشعوب في تعيين مصيرها وان فرض دولة يهودية على شعب ينادي باعلى صوته انه لا يريدها يظل في اساسه عملاً لا اخلاقياً . ومعناه التصرف في ما لا نملك .

ص ٤١ : والآن وقد اصبح انشاء دولة اسرائيل امراً واقعاً فهنالك شعور انه لم تبق فائدة في السؤال هل كان ذلك حقاً او باطلاً. اصحيح ان كل شيء قد استقر بفلسطين ؟ . والى متى يظل مستقراً ؟ . فهل يسمح لهذا الوضع بالبقاء ؟ . ان الامور الواقعة ليست دائما ثابتة . وان الظفر لا يبرر الواقع .

ص ٤٢ : بقبول الانكليز وعد بالفور مع الانتداب على فلسطين كانوا يطبقون سياسة استعمارية غاشمة .

وتتحمل الامم المتحدة جزءاً كبيراً من المسئولية . ولم يكن التقسيم الذي قررته الامم المتحدة واقعياً ولا عادلاً . اولاً من ناحية الحدود التي رسمها . فهي غير منطقية . وتهدف قبل كل شيء الى ان تشمل اكبر عدد ممكن من المستعمرات اليهودية المنتشرة هنا وهناك . ثم ان التقسيم مبني على فرض قيام وحدة اقتصادية بين المنطقتين . والواقع ان لا مبرر لهذا الفرض لأن العرب بداوا بالمقاطعة قبل التقسيم . وقد بلغ الاستياء منهم مبلغاً تتعذر معه المصالحة . ولاريب في ان امريكا . تتحمل جزءاً كبيراً من اللوم لعجزها عن حل مشكلة فلسطين في الوقت المناسب .

انتصرنا لقضية الصهيونية على اساس ظاهر من العطف الانساني على اليهود المتشردين من اوربا . ولكنا قصرنا في خدمتهم فلم نفتح لهم بلادنا . كذلك يلام الامريكيون اشد اللوم لتأييدهم الارهابيين اليهود . ومن

اقبح الامثلة لذلك ترحيبهم بمناحيم بيجن قائد ارغون لما زار الولايات المتحدة في ت ٢ سنة ١٩٤٨ .

وتقع مسئولية قرار التقسيم على حكومتنا اذ التجأت هذه الحكومة من غير ان تخجل . الى اصطناع اساليب التهديد السياسي التي اكل عليها الدهر وشرب ولم تقر الجمعية التقسيم حتى رحب به الصهيونيون كنصر كبير معنوي . لكن كان برهانا مخجلا على ان اساليب الضغط والتهديد غير المتحفظة وغير الاخلاقية تستطيع ان تسيطر على مؤسسة انشئت لغرض نبيل وهو تحقيق العدالة الدولية . فكان تصرف امريكا في منظمة الامم المتحدة ضربة فاجعة لثقة العالم بالامم المتحدة وبالولايات المتحدة . واتخذ تزاحم المرشحين لانتخابات الرئاسة سنة ١٩٤٥ شكلا مخزيا بابداء الولاء للاماني الصهيونية وتقيد القرارات بها . وكذلك ادخال اسرائيل في منظمة الامم دون اكتمال الاجراءات اللازمة .

ولعل ابعد التهم عن الصدق ما يردده الصهاينة من ان العرب كانوا هم المعتدين سنة ١٩٤٨ . فالعرب لم يكونوا غزاة ولا معتدين . وما تبذله الصهيونية من عدم التمييز بين عرب فلسطين وبين الجيوش العربية التي دخلت فلسطين انما ينطوي على تشويه الحقائق تشويها بالغا . فالجيوش العربية لم تغز فلسطين الا بالمعنى الذي به غزت جيوشنا انكلترا في اثناء الحرب العالمية الثانية . فقد استقبل عرب فلسطين هذه الجيوش بمعنى كونها درعا واقيا .

وهنا حقيقة لا تنكر وهي ان اسرائيل كانت البادئة في القتال . فاللاجئون لم يفروا من الجيوش العربية . بل فروا اليها .

ص ٤٥ : ومسئولية اليهود اثقل من مسئولية غيرهم . وكان موقفهم من العرب منذ البدء موقفا عدائيا تنقصه الكياسة واللباقة . والعرب

قوم لطفاء في معظم الاحوال . واقطع اخطاء اليهود لجوءهم الى العنف لتحقيق اهدافهم .

تصرف الجيش الانكليزي

صدر مرة امر بنسف احد البيوت الكبيرة في القـــاهرة ، وكان اصحاب ذلك البيت متغيبين في لبنان منذ شهرين . ويسكن الطـابق السفلي من ذلك البيت ثلاث اخوات ، احداهن ضريرة والثانية مريضة ، والثالثة معلمة مدرسة ، وهذه الثالثة تشتغل وتعول شقيقتها . فجـــاء الجيش الانكليزي ، واعطى الاخوات الثلاث فرصة ربع ساعة لاخلاء البيت قبل نسفه . وماذا يستطعن ان ينقذن في مثل هذا الوقت القصير؟ فخرجن الى الشارع يبكين بحرارة على ماهن المفقـــود . ونسف افراد الجيش ذلك البيت من اساسه ، تاركين تلك التاعسات في الطريق .

مرة علق اعلان على احد الجدران في بيت لحم . وبعد مـــدة وجد ذلك الاعلان ممزقاً ، فحكمت الحكومة الانكليزية بنسف ذلك البيت لان جدرانه لم تستطع ان تحمي الاعلان .

مرة اعلن منع التجول مدة ٤٢ ساعة في بيت لحم . فهدأت المدينة واقفلت النوافذ . وفي صباح اليوم التالي رأت احدى الفرق الانكليزية نافذة مفتوحة . فنادوا صاحب تلك الغرفة ، فاطل عليهم بثياب النوم . فامروه ان ينزل الى الشارع ، ففعل . فاوقفوه امامهم ، واطلقوا عليه النار وتركوه يتخبط بدمه يصرخ ويستغيث دون ان يجسر احـــد من جيرانه الذين رأوا ذلك المشهد المريع من شقوق الابواب ان ينزل اليه ويساعده . على هذه الحال بقي الى ان مرت به دورية بوليس عربية ، فنقلت الجريح الى المستشفى حيث توفي لكثرة ما نزف من الدم .

كانت الجيوش الانكليزية تذهب الى الأسواق العربية وتضرب نطاقا حول جماعات من الناس . فتجمعهم بالمئات وتفرض عليهم ان يجلسوا القرفصاء ، صفوفاً صفوفاً مدة ساعات طوال . والويل لمن كانت تكل رجلاه فيقف او يركع . اذ كانت ضربات كعوب البنادق تتوالى على راسه ، حتى يقع مغشياً عليه . وبعد هذا الاذلال يبدأ التفتيش فيتقدم كل الى التفتيش في دوره زاحفا وهو مقرفص كم من حامل اجهضت من هذه الوضعية غير الطبيعية في حر الشمس ، وقد سرت في جنازة احدى صديقاتي التي توفيت بسبب القرفصاء . كل هذا والجرائد الانكليزية تقول ان جنود جلالته كان تصرفهم مع « المعتدين » العرب تصرفا شريفا لا غبار عليه واكثرهم يرى العنف والخداع مبررين في سبيل بلوغ الهدف .

ص ٤٦ : وفي خطاب مناحيم قائد ارغون بامريكا سنة ١٩٤٨ في ك ١ قال : — « يجب ان نذكر كلنا ان القتال لم ينته بعد . ويجب ان نواصل القتال باساليب حديثة واسلحة حديثة حتى تتحرر اسرائيل بكاملها ونعود الى اوطاننا » .

وبلغ الارهاب ذروته بقتل الكونت برنادوت وسيط الامم المتحدة في ١٧ ايلول سنة ١٩٤٨ ، وقتل معه مساعده بيير الفرنسي .

كتب الزعيم اليهودي ماغنس في جريدة نيويورك تيمس حمل فيها على الامريكيين المؤيدين الارهاب قال : —

« ان جزءاً كبيراً من المسئولية يقع على دوائر اسرائيل الرسمية التي قامت بنشاط مشترك مع الجماعات الارهابية وضم افرادها الى الدوائر الرسمية بدل ملاحقتها ومضايقتها »

ص ٥٠ : ان اليهود هم المعتدون . وقد نهبت بيوت العرب نهبا تاما

وجلب اليهود في اثناء الهدنة الاولى ، التي فرضتها الامم المتحدة فرضاً على العرب ، اسلحة وطائرات وعدداً كبيراً من المهاجرين الصالحين للخدمة الحربية مما اثار احتجاج مندوبي العرب في الامم المتحدة .

ص ٥١ : واهم من هذا كله مسائل اللاجئين العرب . وتزعم اسرائيل انها غير مسئولة عن هذه الكارثة . وان العرب تركوا بيوتهم بناء على تشجيع زعماء العرب . لكن الذي اكره العرب على الجلاء مذبحة دير ياسين . فالذعر هو الذي اخرجهم من ديارهم واستمرت عملية الاخراج القهري الى حزيران سنة ١٩٤٩ .

بين حيفا والناصرة عشرات القرى هجرها اهلها وتحولت ، خربا كان يسكنها نصف مليون .

ص ٥٢ : جميع ما ننسبه للصهيونية من المحاسن لا يمكن ان يعدل الظلم الذي انزله اصحابها بعرب فلسطين .

ويجب التمييز بين الوطن القومي اليهودي وبين فكرة دولة يهودية ، لأنه كان ثمة جماعات تعطف على الفكرة الاولى في حال انها تشجب الفكرة الثانية وترفضها ولا جدال في ان السبب الاول الذي من اجله عطف الشعب الامريكي على قضيـــة فلسطين هو العمل الذي بـــدا للامريكيين ان الصهيونية تقدمه لحل مشكلة النازية . والحق ان المسئول عن ضحايا اليهود (في اوربا) ليس هو الشعب الفلسطيني وجـــيرانهم العرب ، بل دول الغرب النصرانية .

ص ٥٤ : وواضح ان فلسطين لا تصلح ملجأ لليهود في كل العالم . وضخامة المهمة تكشف عن المغالطة التي ينطوي عليها الحاح الصهيونيين بان فلسطين هي الملجأ الذي يريدونه لليهود .

ص ٥٥ : وعلى الرغم من اعجابنا بالجانب الايجابي من الصهيونية الثقافية نؤمن بانه لا يحق لليهود ان يبنوا لأنفسهم وطناً قومياً بفلسطين مع الحاق الظلم بالعرب .

ان احداً لا يجزم ان اليهود يكونون آمنين بفلسطين . وان توفق دولة اسرائيل بضمان البقاء لنفسها والامن لسكانها الا عن طريق التواصل مع الولايات المتحدة . فان العرب يخضعون للضغط في الوقت الحاضر . لكنهم ما داموا يستشعرون انهم ظلموا سيترصدون الفرص للانقضاض على عدوهم لأخذ الثار .

اذا كان الشعب اليهودي يريد ان يبني دولة لنفسه فلا يحق له ان يقيم هذه الدولة بفلسطين . قد يقول اليهود ان فلسطين بلدهم المقدسة . لكنها مقدسة ليس لليهود وحدهم ، بل للمسيحيين والمسلمين ايضاً .

ص ٥٧ : ومهما يكن من امر فرغبة اليهود عن بذل الجهد لاقامة وطن قومي في غير فلسطين لا يبرر .

ص ٥٨ : فدوس حقوق الشعب الذي كان يقطن فلسطين قبلهم لا يجوز . وكان في مقدور دول العالم ان تقول للصهيونيين ان فلسطين آهلة بالسكان . وهي بعيدة المنال . وغير مناسبة لكم .

يقول الصهيونيون ان فلسطين ملك لهم لأنها وطنهم القومي ويبنون دعواهم هذه على اسس توراتية وتاريخية وقانونية فلننظر في كل من هذه الثلاثة .

اولاً : الحجج التوراتية . وهي وعد الله لاسرائيل بفلسطين . لكن دولة اسرائيل هذه ليست اتماماً لذلك الوعد . ذاق اليهود عذاب الاسر وذلك في بابل . وبعده تابوا ورجعوا . واعتبرت الجماعة الجديدة ان الله انجز وعده اذ ارجعهم الى البلاد المقدسة . ولكنها لم تؤلف مملكة

مستقلة . ولم يرتق عرشها ملك من نسل داود .

ص ٥٩ : وعلى من يتحدث في انجاز الوعد الالهي ان يذكر الآية ارميا ٢٢ : ١٠ ويل لمن يبني بيته بغير حق وعلاليه بالظلم : (ومي ٣ : ١٠) الذين يبنون صهيون بالدماء واورشليم بالظلم .

ثانياً : الحجة التاريخية : اذا لم تكن فلسطين وطناً قومياً للامة العربية بنفس المعنى الذي كانته لليهود فان صلة الامة العربية بفلسطين حقيقية ومباشرة . وهي اوثق من الصلة التي تربط اسرائيل بارض كنعان. واذا نظرنا الى عرب فلسطين بنوع خاص فانا نجد ان البلاد هي وطنهم التاريخي الذي سكنوه طوال اجيال وقرون . فلا يحتاجون الى الرجوع الفي عام الى الوراء ليثبتوا صلتهم بالبلاد . لأن صلتهم حية مستمرة . وهي لم تنقطع خلال القرون الثلاثة عشر الماضية . حتى في عهد الصليبيين والاتراك . ولا ريب في ان احتلال بلد ما فترة ماضية لا يؤلف حق في ملكيته اليوم . واذا كانت فلسطين ملكا لليهود بالحـــق التاريخي نستطيع ان نزعم ان كاليفورنيـــا للمكسيك ومكسكو لاسبانيا .

ص ٦١ : واذا كان لفلسطين ان تقرر ملكيتها على اساس احتلاف الماضي فقد نضطر ان نسمح لايطاليا واليونان وايران بتقديم دعاواهـــا بحقوقها في الارض المقدسة .

ص ٦٢ : ثالثا : الحجة القـانونية . فتستند الى الاعتراف بحقهم في البلاد المقدسة . واول خطوة نحو هذا الاعتراف تتمثل بوعد بالفور . وواضح ان بريطانيا لم تكن تملك فلسطين . فلم يكن في وسعها ان تقدمها لليهود . **وعد بالفور يختلف كل الاختلاف عما اقترحه الصهيونيون**

ص ٦٣ : وعد بالفور يناقض نفسه . لأنه يتعارض . وحقوق سكان فلسطين غير اليهود . واسوأ من ذلك ان انكلترا سبق فوعدت العرب

قبل صدور تصريح بالفور . وميثاق عصبة الامم انشأ نظام الانتداب لتدريب البلدان التي سلخت عن الامبراطورية العثمانية على الحكم الذاتي . عرب فلسطين وهم ٩٣٪ من مجموع السكان بلغوا مرتبة من التطور تعادل المنزلة التي بلغها غيرهم من العرب في غير فلسطين . مع ذلك فرضت عليهم فكرة الوطن القومي رغم معارضتهم . من هنا جاز لرجل الشارع ان يفرض ان محكمة العدل الدولية جديرة بان تعتبره فاسداً . وهكذا نجد ان الحجة التوراتية والتاريخية والقانونية . لا تخول اليهود الحق في فرض دولتهم على سكان فلسطين الاصليين . وكثيراً ما يلقي اليهود هذا السؤال : الم يشتر اليهود الارض ؟ . بلى (اشتروا الى سنة ١٩١٧ ٢٪ من الارض والعرب يملكون ٩٨٪ منها فلمن الحق بملكيتها بناء على ذلك) ؟ .

ص ٧٠ : الارض المقدسة ليست مدينة القدس وحدها . بل فلسطين كلها مقدسة .

ص ٧١ : والمعاملة التي لقيتها الكنائس والمعابد من جانب القوات الاسرائيلية قضية دقيقة يتعذر على المرء ان يصطنع الصراحة فيها من غير ان يستفز سخطا عنيفاً .

ص ٧٤ : ان اماكن العبادة النصرانية دنست تدنساً متعمداً . واجمعت الاخبار الموثوقة على ان العرب لم يكونوا مسئولين عن هذه الاعمال . وان ابطالها هم اليهود . وان عدداً من الكهان والرجال العاملين في المؤسسات الامريكية قتلوا بالاسلحة اليهودية . واصيب بعض الكنائس والمعابد باذى بالغ .

وابلغ بعض شهود العين انه راى قرى مدمرة بكاملها وليس فيها معبد الا وقد سوي بالارض . واذاع الاتحاد المسيحي بفلسطين في اواخر سنة ١٩٤٩ بياناً رسمياً سمى فيه مؤسسات مسيحية وجه اليهود

نيرانهم منهـــا الى المدينة المقدسة . وذكر ١٤ مؤسسة مسيحية اصابتها القنابل . وقد دنس اليهود بعضها وانزلوا بها اذى فظيعا . ثلاثة من الكهان قتلوا . كما نص على ان مائة من الاطفـال والنساء ذهبوا ضحية الهجوم اليهودي . وقد وردت تفصيلات دقيقة عن هذه الفظـائع لوكالة الصحافة صادرة عن القدس في ٣١ ايار سنة ١٩٤٩ .

ص ٧٣ : واعلن رئيس اساقفة يورك في شباط سنة ١٩٤٩ ان كثيراً مـــن الاديرة والكنائس قد دنست وحطمت صورها وتماثيلها . وان الاشكال التي تمثل السيد المسيح قد نزعت عنها الصلبان ولوثت تلويثاً . ولا يقل عن ذلك فظاعة ان القوات المسلحة رجالاً ونساء تعمدت الرقص في بيوت العبادة النصرانية في كل من القدس وحيفا .

ص ٧٤ : لم تكن آلام المسيحيين اقل من آلام المسلمين . وقـــد كتب رجل مسيحي يقول : نحن مكرهون على مغادرة البلاد المقدسة . لأنه اصبح في غير طاقتنا ان نتحمل اكثر مما تحملنا .

ان عرب فلسطين المسيحيين كانوا دائماً صفاً واحداً مع المسلمين في معارضتهم الصهيونية . وكان في وفود الدول العربية شخصيات بارزة مثل فارس الخوري وقسطنطين زريق عن سورية . وشارل مالك في لبنان .

ص ٧٦ : ان حكومتنا الامريكية مسئولة عن قرار هيئة الامم لمشروع التقسيم سنة ١٩٤٧ ومسئولة ايضاً عن تنفيذه .

اكتفي بهذا القدر من كتاب بروز .

الفصل الثالث

اليهود

يا اخواني !

قد يتبادر الى الذهن ان العداء دفعني الى الكتابة هذه . لا ابعد عن الحق من ذلك . نعم انا عربي . ولكني ايضاً انسان . وبدافع انساني اكتب . وانتصاراً للحق لا للعرب . لست اجهل ان العرب واليهود فرعا العرق السامي . وان اللغتين العربية والعبرية شقيقتان . فنحن اخوان وكان يجب ان تكون المحبة رابطتنا . فلماذا البغضاء ؟ ومن اين نشأت ؟ افما كان يحسن بنا ان نكون اخوانا ؟.

دعونا نراجع دفاترنا . هل تعدى العرب عليكم في كل تاريخكم ؟ ابداً بل هم الامـــة الوحيدة التي احسنت اليكم في تاريخكم . فقد طردكم الملك ادوارد الاول من انكلترا سنة ١٢٩٠ م . وطردكم الملك فيليب الجميل من فرنسا سنة ١٣٠٦ ، وطردتم مـــن سكسونيا ايضاً سنة ١٣٤٩ م ومن المجر سنة ١٠٩٢ ثم سنة ١٥٨٢ ، ومن بلجيكا سنة ١٢٧٠ ومن سلوفاكيا سنة ١٣٨٠ ، ومن النمسا سنة ١٤٢٠ . ومن هولندا سنة ١٤٤٤ ، ومن اسبانيا سنة ١٤٩٢ ، ومن ليتوانيا سنة ١٤٩٥ ، ومن برتوغال سنة ١٤٩٨ ، ومن روسيا سنة ١٤١٠ ، ومن نابولي سنة ١٥٤٠ ، ومن بافاريا سنة ١٥٥١ ، وحظر عليكم دخول اسوج الى سنة ١٧٨٢ ، والدانمارك لسنة ١٦٠١ ونروج لسنة ١٨١٤ . ولكن متى طردتم من بلد عربي ؟. بل كانت الدول العربية والاسلامية ملجأكم . اليس كذلك ؟ فلماذا العداء ؟ .

افهذا هو جزاء الاحسان ؟ وما جزاء الاحسان الا الاحسان .

انا حزين عليكم جداً يا اخوتي لأنكم الى انفسكم اسأتم .

اولاً : امام بيلاطس فاخترتم المجرم ورفضتم البار .

ثانياً : امام تيطس رفضتم المشورة الصالحة وهويتم الى الدمار .

ثالثاً : بفلسطين حديثا اعتمدتم الارهاب ضد الانكليز اصحابكم .

رابعا : تعديتم على العرب الذين ما اساءوا اليكم قط .

وشديد اسفي يا اخوتي انكم تفخرون بما يخزي . وآسف جداً لأنكم تزعمون ان جولتكم مع العرب هي حاسمة والواقع انها بداية بعلم الله اين ومتى وكيف تكون خاتمتها .

دعوني اذكركم بحادثة في التوراة (ملوك اول ص ٢١) هي حادثة نابوت اليزرعيلي .

كان لنابوت كرم بجانب قصر اخاب ملك اسرائيل اراد الملك شراء الكرم ليحوله الى حديقة زعور له . فابى نابوت ان يبيعه لأنه ارث آبائه فـلا يباع . فذهب الملك اخاب الى بيته حزينا . لأن نابوت اخزاه . لكن ازابل الملكة عرفت بالامر . فتبنت القضية فسعت في قتل نابوت بطريقة دنية . وقالت لأخاب : قم وامتلك لقد مات نابوت .

نعم مات نابوت . ولكن الحق لم يمت . لأن الله اله حق . فجاء ايليا النبي الى الملك . وانذره بكلام الله . وقال له : في المكان الذي فيه لحست الكلاب دم نابوت ستلحس دم الملكة التي قتلته . وهكذا حصل . وقتلت ازابل ولحست الكلاب دمها كما قال الله . وهذا كلام الله اليكم يا اخوتي .

كما فعلت يفعل بك . عملك يرتد عـلى راسك كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضا يعطون في احضانكم . الحق تسكنون هـذه البيوت

وتنعمون بهذه البساتين والكروم ؟ اخوتكم العرب مشردون امـــام عيونكم. وانتم تسكنون بيوتهم. زاد على ذلك انكم تطاردونهم، وفوق الكل تتظلمون منهم . افهذه المكانة ، او هذا هو الشرف باسرائيل ؟ وموقع نظري بالخوتي هو ما يأتي .

اولا : انكم دستم شريعة الله بدوسكم حقوق الانسان . الحق الاول حق الحياة . قال الله لا تقتل . وانتم قتلتم . الحق الثاني حق الملك . قال الله لا تسرق . وانتم سرقتم . اعني بذلك سرقتم بيوت العرب الآمنين وحقولهم وكرومهم وبساتينهم وبياراتهم . وهم غير محاربين (اعني بهم عرب فلسطين) ولو فرضنا انهم حاربوا فلا يجوز لكم ان تسرقوا ارزاقهم.

ثانياً : انكم لم تحفظوا خط الرجعة. فانكم .وقدربحتم الجولة الاولى في الحرب ، فعوض ان تعطفوا على اخوتكم العرب . وتواسوهم وتكفكفوا دموعهم وتظهروا كرم النفس في معاملتهم عاملتموهم بالعكس معاملة خبيثة . وتمـــاديتم في التعدي والتحطيم فلقد اضاع اسرائيل فرصة ثمينة يبكى عليها . فلو احسنتم الى العرب بعد فوزكم لحفظتم لكم خط رجعة في ما اذا احرز العرب النصر في الجولة الثانية . ولكنكم اضعتم هـذه الفرصة . ووضعتم امام العرب سابقة لا اظن انكم تحتملونها . فاين تذهبون يوم يفوز العرب عليكم ؟. هم جاؤا الى اخوانهم العرب حولهم.فواسوهم وضمدوا اجراحهم وضمنوا لهم الحياة وآووهم ولكن انتم من لكم ؟ المحيط العربي المعادي حولكم من كل جهة الا البحر ؟ !! فمـــاذا تفعلون في يوم تدحرون ؟.

ثالثا : نسيتم الدهر ابا العبر .

ان الصليبيين جاءوا من اوربا نظيركم . وحاربوا وربحوا جولات.

ونظيركم انشأوا دولة لهم مع هذا الفارق وهو ان دولتهم لم تكن مستجدية . وظلوا اكثر من قرن مالكين بفلسطين . والآن اين هم الصليبيون ؟ .

بل انتم . وقد سبيتم الى بابل . ومكثتم اسرى هناك سبعين سنة . افنسيتم بلادكم ، وبيوتكم ؟ . كلا . بل رجعتم .

اتظنون العرب اقل وطنية منكم ؟ . فهل ينسون فلسطين ؟

فيعودون ولو بعد ٧٠ او ٧٠٠ سنة ولا ينسون يوم ١٤ ايار ١٩٤٨

رابعاً : انكم نسيتم ما وراء العرب .

وراء العرب عرب . ووراء العرب الاسلام .

اربعمائة مليون عليكم يا اسرائيل . ارأيتم اي مستقبل ذخرتم لاحفادكم . فوا شديد اسفي عليكم .

احموا قيام المسلمين عليكم . والمؤتمرات التي يعقدونها لاسترجاع فلسطين منكم .

باكستان وفيها ٨٠،٠٠٠،٠٠٠ نفس .

اندونسيا وجيرانها ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نفس .

عدا دول العرب في اسيا وافريقية . فلا تكثروا هازئين . فليس موقفكم بما تهون معه راحة البال .

وسيناقشونكم الحساب

انا لا الومكم في كونكم حاربتم . كلا . بل انكم ظلمتم جيرانكم في غير حرب . او بعد الحرب .

خامساً : انكم تعاميتم عن ابسط قواعد الحياة واوضح حقائق

الاختبار وهي : سل عن الجار قبل الدار .

وانكم وقد رمتم ان تنشئوا دولة لكم . فاين توجب الحكمة عليكم ان تنشئوها ؟ أبين الورد والريحان ام بين الشوك والحسك ؟ .

دعوني احدثكم في جو هادىء . واسلم معكم جدلاً بكل ما تريدون .

اتقولون انكم افاضل كرام ؟ . طيب . فانتم افاضل كرام .

اتقولون ان العرب متقهقرون ؟ . فلا بأس . العرب متأخرون .

اتقولون انكم مسالمون منصفون وان العرب هم المعتدون : فاسلم معكم انكم مسالمون منصفون . والعرب هم المعتدون .

افتريدون اكثر من ذلك ؟ . فلكم ما تريدون .

بعد ذلك دعوني اخفض صوتي واهمس في آذانكم لئلا يسمعنا العرب :

تقولون ان لكم عليهم ٥٦٠ شكاية حسناً .

افتظنون ان العرب سيكونون في المستقبل خيراً منهم اليوم ؟.

فما ادراكم ان لا تكون لكم عليهم في المستقبل ٥٦٠٠ شكاية او ٥٦٠٠٠ شكاية او اكثر . لأنهم كما تقولون « معتدون » .

الم تجدوا لدولتكم افضل من هذا الوسط العربي ؟ .

كل بلد هو افضل من هذا الوسط الذي انتم فيه .

فاين حكمتكم واين فراستكم ؟ .

انظنون انكم تبيدون العرب ؟ .

ثم انظنون انكم تبيدون الاسلام ؟ .

لا اله الا الله

سبحان مالك الملك الذي قسم لكل امة مقداراً من الوعي . فكيف تبيدون العرب والمسلمين ؟ . هل تبلع النقطة البحر ؟ . ولكن دعونا نتكلم بالمعقول .

جئتم الى فلسطين غزاة غادرين .

فانتزعتم ديار العرب . وطردتموهم وحللتم محلهم

وزرعتم في قلوبهم امر المرائر

ولم تشفقوا على عجزتهم ونسائهم واطفالهم

سفكتم دماء شبانهم ظلماً وعدواناً كما سيجيء

ومع ذلك تتظلمون من انهم اساءوا اليكم ؟ .

انهم لم يكونوا مسيئين اليكم مدة ١٣٧٥ سنة . فلماذا يسيئون اليوم؟ ما الذي بدل الاوضاع ؟ .

ولكن انتم الأولى علمتموهم فحولتموهم عن سجيتهم الحسنة وخططهم المباركة فجعلتموهم اعداء لكم . افمنهم تتظلمون ام من انفسكم ؟ .

هل وجد عند العرب بروتوكول عداء ضدكم ؟ حاشا . فالعرب قوم كرام النفوس يا قوم . قد تنكرون عـــلى امر البروتوكول ، وتقولون انه مزور عليكم . ولكنكم مع ذلك تطبقون مقرراته حرفياً . فاثبتم بذلك انه بروتوكول اسرائيل .

فقد افضت مساعيكم الى قسمة العالم الى قسمين متعاديين ، حسب نص البروتوكول تماماً وهما : الشيوعية والصهيونية . مقر الاولى روسيا والثانية امريكا .

ثم رأيتم امريكا رجحت على روسيا بالقنبلة الذرية فكان من واجب اسرائيل سد هذا الفراغ . وافشاء سر القنبلة الذرية لها لحفظ التوازن. فقام لها طاقم يهودي منظم اذكر منه فيليب جـافه وهو يهودي مولود بامريكا . واند وورث يهودي ولد في بروكلين . وماوك غاين مولود منشوريا من والدين يهوديين . وفرانكفورتر اشد اليهود نفوذاً في كل امريكا . وناتان هرت . ولي برسمان . وممن قام بهذا الواجب المقدس عندكم روزنبرغ وزوجته ايفل الحسناء . هذا عمل يحسب عند الاوادم خيانة . واما عند اسرائيل فهو حكمة وواجب مقدس . وقع الزوجان في ساحة القضاء الامريكي . فحاولتم وطاولتم ومطالتم ودرتم وديرتم . واخيراً خيب الله سعيكم وابرم حكم الاعدام على الخائنين . فاجتمعتم الوفاً مؤلفة — يالغباء — امام البيت الابيض . ولماذا ؟. لأن عدالة امريكا قضت بمعاقبة الخائن .

فما شأنكم وهذا الموقف ؟. مالكم والبيت الابيض ؟. فقد اثبتم على انفسكم انكم انتم الخائنون بعطفكم الشاذ على روزنبرغ وايفل الحسناء. والا فلأجل من تظاهرتم في كل تاريخكم ؟ ولو ان روزنبرغ رجل فاضل ومظلوم فهل كان تظاهر لأجله يهودي واحد ؟. معاذ الله . ولكن مـع الخائن . غصت الشوارع باسرائيل .

افيدونا بالفاضل اسرائيل ! كم الف منكم تظاهروا لمقتل اللورد موين الذي اغتاله اسرائيلي منكم ظلماً وعدواناً ؟

وكم الف تظاهروا لمقتل الكاهن زكريا بن يهو ياداع البار الذي اتفق على الغدر به الملك والامة ؟.

الم يوجـــد في كل اسرائيل ذو مروءة ينتصر لغير باراباس اللص ؟ هل قضي على اسرائيل ان يكون الى الابد في جانب المعتدين

الاشرار - واشديد اسفي على اسرائيل .

وقد سبق ان اوردتُ سلسلة تبين حلقاتها . ما هو اسرائيل . وذلك من يعقوب الجد الاول الى مردخاي عم استير . ولا شك في ان كل حلقة من حلقات تلك السلسلة توضح لقارىء كتابي هذا ما هو اسرائيل . وما ينطوي عليه اسرائيل من الاوضاع المنكرة .

بقي ان اورد لكم سلسلة عصرية تبدي حلقاتها ما هو اسرائيل اليوم الذي هو بفلسطين .

الحلقة الاولى : اغتيال اللورد موين في شوارع مصر سنة ١٩٤٤ .

الحلقة الثانية : اغتيال الكونت برنادوت ومساعده بيير سنة ١٩٤٧ .

الحلقة الثالثة : نسف فندق داود في القدس الشريف . فندق داود اجمل فنادق الشرق واعظمها . استاجرته بريطانيا لأغراض عسكرية في خلال سني الحرب العالمية الثانية . وفي ضحى يوم ٢٣ آب سنة ١٩٤٧ ، وفي الفندق مئات من القواد والضباط والجنود والتراجمة والكتاب وغيرهم . وقد كست شمس النهار فندق داود وما حوله حلة بهية . ولكن لاسرائيل كساه حلة سوداء قاتمة من ابشع ما روى التاريخ . ذلك بان اسرائيل نسف ذلك الفندق الفخم الجميل بالديناميت . فهوى جناحه الجنوبي على من فيه فهلك فيه نحو مائة من القواد والضباط والجنود . وكلهم ابرياء . هذه واحدة من فعال اسرائيل . فما ذنب القتلى واراملهم ويتاماهم والذين ثكلوهم ؟ .

الحلقة الرابعة : نسف قطار مصر - لبنان قرب رحوبوت في ٢٦ نيسان سنة ١٩٤٧ .

الحلقة الخامسة : نسف بناية الاشغال في حيفا وهلاك ٢٨ نفساً

فيها في ١٥ ايلول سنة ١٩٤٧ .

الحلقة السادسة : خطف جنديين بريطانيين من قهوة في تل ابيب في ٣١ آب سنة ١٩٤٧ ، ثم علقوهما في غابة الكبنا . وفي اليوم الثاني ذهب الضابط داود جالوتي لنقل الجثتين الى المعسكر ليصير دفنها بالاكرام العسكري حسب الاصول . فلما قطع الحبل هوت الجثة على الارض فانفجر تحتها لغم كان اليهود قد وضعه هناك متعمدين . فتمزقت الجثة ارباً ارباً . وتطايرت اجزاؤها في الفضاء . وجرح الضابط في كتفه ووجهه .

هذا هو اسرائيل وهذا هو معدنه .

الحلقة السابعة : هاجم اسرائيل بنك باركليس في تل ابيب في ٢٦ ت ١ سنة ١٩٤٧ ، وقتل خمسة جنود كانوا قائمين على حراسته .

الحلقة الثامنة : اطلاق النار على المفوض السامي . يقترن بذلك فظائع وقبائح كثيرة ارتكبها اسرائيل .

الحلقة التاسعة : الانفجار الاول في سوق الخضار بحيفا . يتوارد القرويون من المحيط على سوق الخضار بحيفا حاملين معهم صناديق فيها الدجاج والبيض والخضراوات وبعض الحبوب ليبيعوها في السوق .

وفي ذات صباح . والسوق غاصة بالخلق . وهم يجهلون ما خبأته لهم الاقدار ، انفجر لغم كبير في السوق كان اليهود قد وضعوه هناك قصد الضرر بالاهالي الابرياء . فتطايرت الاطراف والرؤوس ، ووقعت الجثث على الارض . وكان عدد القتلى ١٥٠ لغير ما ذنب جنوا .

الحلقة العاشرة : وبعد مدة كرر اليهود العملية في السوق نفسه فهلك فيه ١٨٢ نفساً . وكلهم ابرياء .

الحلقة الحادية عشرة : نسف اليهود فندق القطمون في القدس فهلك

فيه ٤٠ نفسا . منهم ٧ انفس من ال لورنزوا اصحاب الفندق والجميع ابرياء .

الحلقة الثانية عشرة : كارثة دير ياسين العظيمة .

ومن لم يسمع بكارثة دير ياسين ؟.

هي قرية موالية لليهود كانت تبيعهم ما يحتاجون اليه . فاجاءها اليهود ذات ليلة وهي غافلة فاضرموا النار في بيوتها . وقتلوا مئات من اهلها وفظعوا بالقتلى ولاسيما الاطفال . وطرحوا في بئر واحدة ١٥٠ شخصا من القتلى وبعضهم لم يسلم الروح بعد .

ثاني الايام توجه الى دير ياسين رجال السلطة العسكرية والمفوضون السياسيون. وحققوا في امر الحادث فكتبوا قراراً اجماعيا ان اليهود هم الفاعلون .

الحلقة الثالثة عشرة : قرية ناصر الدين قرب طبرية .

محا اليهود هذه القرية من سفر الوجود . واحرقوا بيوت البدوا الضاربين في ظاهر القرية . وقتلوا اولائك الاعراب الذين لم يفهموا لماذا

الحلقة الرابعة عشرة : اللد والرملة . وهما من اشهر مدن فلسطين .

بعد ما احتلها اليهود سفكوا دماء كثيرين من رجالها . ونهبوا كل ما في بيوتها من حلى ومجوهرات وساعات . روى شاهد عين انهم ملأوا بتلك المغانم اربعة شوالات ساقوها الى تل ابيب .

الحلقة الخامسة عشر : عيلبون

بعد ما دخل اليهود قرية عيلبون انتقوا نخبة شبانها . واغتالوهم على مرأى من اهلهم وذويهم .

الحلقة السادسة عشرة : تدنيس الاعراض .

روى الرواة عن ذلك الشيء الكثير . وربما ان ذلك من فضائل اسرائيل التي لا يناقش بها . فقد هلك منهم الوف في بعل ففور . والقصة معروفة ولولا دير اللاتين بحيفا الذي حمى الكثير من العذارى لما ابقى اسرائيل على عرض مصون .

الحلقة السابعة عشرة : ما لا يخطه القلم من فعائل اسرائيل . انتقى اسرائيل ثلاثين من خيرة الشبان ، وكل من شاقتهم محاسنها من نساء . وساقوا الفريقين معاً باسم اسرى حرب . قال شاهد العين انه لا يقوى على ذكر ما فعل اليهود بهؤلاء التاعسين .

الحلقة الثامنة عشرة : معاملة اسرائيل كل من ارادوا التنكيل به معاملة خاصة يدعونها اسرى حرب مع انه لا حرب ولا ضرب . انما هي شنشنة اسرائيل يسوقون هؤلاء للاهانة والعار والاعدام .

الحلقة التاسعة عشرة : دير الغزال وجاراتها .

ثلاث قرى متجاورة لما عرفت مقصد اليهود بتخويف الاهالي العرب ليتزحوا فيحل اليهود محلهم ، لما عرفت ذلك قررت البقاء في بيوتها مهما يكلفها الامر . فكان اليهود يهاجمونها ليل نهار مدة سبعة اشهر والاهالي يصدونهم .

ليتصور القارىء ما في ذلك من الصعوبة . سبعة اشهر بلياليها والعرب البسطاء يدافعون عن حياتهم واعراضهم ضد عدو غاشم . واخيراً اكتسحها اليهود بالمدافع الضخمة والطائرات الحربية . وكان جزاؤها جزاء اريحا وعاي قديماً .

الحلقة العشرون : نسف ميدان باب الخليل .

انقل هذا عن كتاب « الدسائس اليهودية » لمؤلفته السيدة ليديا ابرهيم صفحة ٢٦ : -

رأيت بنفسي بعض المناظر الوحشية التي تقشعر لها الابدان وشاهدت آثار الحريق والتدمير التي ارتكبها مجرمو اليهود في الاحياء العربية .

مررت ذات يوم بالقرب من باب الخليل . وكان العرب متجمهرين في موقف السيارات ليذهب كل واحد منهم الى بلدته . وفجأة انفجرت قنبلة وضعها احد مجرمي اليهود فتبعثرت الضحايا هناك واختلطت الايدي بالارجل مبتورة ، والجماجم بالامعاء . فهلك بتلك القنبلة ١٥٠ شخصاً لا جرم لأحدهم .

رأيت المحتضرين التاعسين مطروحين على التراب يجودون بانفاسهم الاخيرة ، سمعت انين الجرحى صغاراً وكباراً نساء ورجالا لم يكن ذلك المنظر وحيداً مر علي . لكن تلاه مشاهد ومشاهد . تذيب القلب حزناً واشفاقاً .

الحلقة الحادية والعشرون : قبية في سنجق رام الله قرب الحدود .

في ليل ٢٣ ت ١ سنة ١٩٥٣ فاجا اليهود البلدة والناس نيام . فنسفوا بيوتهم بالديناميت . وفي الوقت نفسه رموهم بقنابل الطائرات الحربية من الجو . فهدموا نصف القرية . وقتلوا فيها ما يقرب من سبعين نفساً .

ولم يقو اسرائيل على تكذيب الخبر . لأن مجلس الامم حقق في الامر . فثبت له ان اسرائيل هو الجاني .

صرح بذلك الانكليز والفرنسيون والامريكيون بقرار مشترك املوه على مسامع وفود ستين دولة . واعلنوا استنكارهم هذا العمل الفظيع . كذلك الجنرال بنيكن الذي حضر من فلسطين الى الامم المتحدة

بنيويورك حاملاً نبأ الحادث . فقرر ان قوة عسكرية من جيش اسرائيل ارتكبت هذا الجرم الفظيع وعددها يتراوح بين ٢٠٠ و٥٠٠ جندي مجهزين باحدث الاسلحة الحربية .

وكان لهـذا الحادث تأثير عظيم في مشارق الارض ومغاربها فهب المسلمون هبة رجل واحد لاسترداد فلسطين من ايدي اليهود . وعقدوا مؤتمراً في القدس قرروا فيه قرارت شديدة . وهم الآن يجمعون الاموال لهذه الغاية .

الحلقة الثانية والعشرون : نحالين :

هاجمها رجال جيش اسرائيل وقتلوا تسعة من رجالها .

والقضية الآن في ايدي الامم المتحدة . وقد قامت الدنيا لهذا الحادث .

الحلقة الثالثة والعشرون : العصابات اليهودية ونهبها قرى العرب :

تنظمت العصابات اليهودية واعضاؤها من الطبقة الراقية من اليهود من تجار ومحامين واطباء وهكذا .

تلبس افراد العصابة زي الجيش الانكليزي ويتكلم افرادها اللغة الانكليزية في احسن لهجاتها حتى يظن من يسمعهم انهم انكليز ومن رجال الجيش البريطاني .

تأتي الواحدة من تلك العصابات الى احدى القرى. فتأمر الاهالي باسم السلطة ان يقدموا ما عندهم ، فيقدم الاهالي للعصابة السمن والزيت والزيتون والقمح والدقيق والبرغل والرز والعدس والحمص والفاصوليا والجبن والدبس والعسل وغير ذلك مما يمتون القرويون .

فتكوم العصابة كل تلك الاشياء على الارض ثم يصبون عليها كلها زيت البترول بحيث تصير غير صالحة للاكل .

ثم تدخل العصابة البيوت للتفتيش اي للنهب . فلا تبقي على شيء ثمين ثم تترك القرية وتذهب في طريقها . وبعد ذهابها يسرع الاهالي الى السلطة شاكين . فتحول السلطة الشكاية للجيش . وبعد البحث يرد الجواب من الجيش ان لم تبرح احدى وحداته مكانها فالشكاية كاذبة .

على هذه الحال تمر الدعوى والاهالي حائرون في ما هو السر .

واخيراً التقت احدى هذه العصابات بفرزة من جيش الحدود . وبعد تبادل اطلاق النار تستسلم العصابة . واذا هي عصابة يهودية . عندئذ عرفت السلطة ان الاهالي كانوا صادقين في شكواهم كما عرف الاهالي ان قيادة الجيش كانت صادقة . وان اليهود في زي الجيش هم الفاعلون .

يا اخواني اليهود !

تدعون ان العرب هم المجرمون المعتدون .

فقولوا : اين هاجمكم العرب ؟.

واين فعل العرب مثل ما فعلتم من الجرائم ؟ .

لقد نسفتم سوق الخضار في حيفـــا مرتين . فقتلتم بذلك مئات من الابرياء الوادعين .

ونسفتم فندق داود . وفندق التطمون .

ونسفتم ساحة باب الخليل حيث موقف السيارات .

وثبت للخاص والعام انكم اشرار ومرتكبون .

فيا ياخوتي الاشقياء !.

يابني ابراهيم خليل الله ! .

اهكذا يكون الاوادم ؟

اهذه فعال شعب الله المختار ؟ . فما هي فعال شعب الشيطان ؟

اي امة فعلت بجيرانها ما فعلتم بجيرانكم ؟

مع اي الامم عشتم بسلام ؟

افهمتم الآن ما هو اسرائيل ؟ .

هذا هو كما يظهر في افعالكم .

اسمعوا ما قال الله عنكم (هوشع ٨ : ٣ و ٤) قد كره اسرائيل الصلاح . . . . اقاموا ملوكاً وليس مني . هذا وصفكم باقلام انبيائكم .

قد يقول اليهود ان ما ذكرته حضرتك انما هي فعال افراد . فلا تسجل على مجموع الامة .

ياليت !! ؟؟ . والف الف ياليت .

ولكن مع شديد الاسف هي فعالكم كامة وهي ثمرة سجيتكم .

ان الجرائم التي ظهرت في اسرائيل قديماً هي اعمال قام بها مجموع الامة ولا تنحصر المسئولية عنها في افراد . ولو ان المسئولية محصورة في افراد لكان اولئك الافراد يكونون في غيابات السجون او على اعواد المشانق . وواقع الامر ليس كذلك . فقد اغتال يهود معروفون الكونت برنادوت . واعلنوا انهم هم الفاعلون . فماذا فعلت حكومة اسرائيل ؟ .

فلو انها اعتقلت القاتلين وعاقبتهم لأثبتت براءتها وانحصر الجرم في الفاعلين . ولكن والفاعلون يسرحون ويمرحون فخورين بفعلتهم الاجرامية ، والحكومة لم تتخذ ضدهم اي اجراء فقد تحملت هي الجرم وهي تمثل اسرائيل . فاسرائيل هو المجرم .

اسرائيل بمجموعه خدع المصريين وسلبهم .

اسرائيل بمجموعه ارتد الى الوثنية وعمل العجل وعبده .

اسرائيل بمجموعه تذمر على الله اربعين سنة .

اسرائيل بمجموعه قتل ٧٥٨٠٠ في عهد استير .

اسرائيل بمجموعه اغتال زكريا بن يهوديداع . وذلك بالاتفاق بين الملك يواش والشعب .

اسرائيل بمجموعه وقف امام بيلاطس يطلب اعدام البار .

اسرائيل بمجموعه حارب روما سنة ٧٠ م .

اسرائيل بمجموعه اقتسم فلسطين حديثاً . واستعمل السلاح ضد اهاليها الوادعين . وقتل وفضح واجلى الناس عن بيوتهم وحل محلهم .

اسرائيل بمجموعه صفق لمناحيم بيجن في امريكا لما وقف يتبجح بفعاله الشريرة المنكرة .

اسرائيل بمجموعه انتزع فلسطين من اهلها . ومحاولة البعض ان يحصر الجرم في الصهيونية وان اسرائيل بريء . هذا كلام باطل . فاين كانت الصهيونية لما اعمل يشوع السيف والنار في اريحا وعاي واكثر من اربعين مدينة اهلك اهلها لا صهيونية ولا اوتون . بل اسرائيل هو الجرم . وهو الذي قال : **دمه علينا وعلى اولادنا .**

ولا نقدر ان نحول الجرم عن الامة الى جزء منها . وذلك ظاهر كل الظهور ولا مجال في الامر المراء .

وهذا الذي قلته هو بعض مما في اسرائيل من نكر وتصرفاته شاهدة عليه .

الفصل الرابع

العرب

يا اخواني العرب :

اذا كان اليهود يتنكرون لمسامحيهم ويتنكرون لمحبته أفأنتم ايضا كذلك ؟.

المحبة نصوح صريحة لا تحابي . فالمحبة تجبرني ان اصارحكم .

كنتم قبل نصف قرن تنكرون على امثالي نقد سياسة الاتراك . كأنكم تحسبونها لا وطنية منهم . افلا تزالون على رأيكم ؟.

لقد كشف الغطاء . وبرح الخفاء . وظهر للقريب والبعيد مساعي الاتراك وانهم اعداء العرب قرة واحدة .

ولقد رأيتم ما فعل بكم اولئك السادة العنف سنة ١٩١٤ - ١٩١٧ فقد نهبوكم وجوعوكم وسحقوكم وعلقوا على اعواد المشانق زهرات شبانكم ، فانتهى الامر وفهمنا ماهية الاتراك .

وقد سلبوكم سنجق الاسكندرونة . ولولا الانكليز لأتبعوه بولاية الموصل اجل ولايات العراق وهاهم الاتراك اليوم يعاملون اليهود ويهربون اليهم البضائع .

فاسمحوا لي ان اتكلم صراحة . انا لا ارى خيراً في التقرب من الاتراك . ودعوني اسأل هذا السؤال : ـ

اتظنون يا اخواني ان اسرائيل عدو صغير يسهل علينا قهره .

ارجو منكم ان تترووا في الامر قبل اعطاء الجواب .

انا لا ارى اسرائيل عدواً يستهان به . وليس قهره بالامر السهل علينا . ولكي نقهر اسرائيل تلزمنا امور ذات اهمية كبرى .

ولا مؤاخذة في قولي ان اول تلك الامور الصدق .

نعم نعم : لكي نقهر اسرائيـــل يلزمنا اول كل شيء ان نكون صادقين .

فالصدق في اقوالنا اقوى لنا والكذب في افعالنا افعى لنا

لما شبت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كنت اتتبع اخبارها في الجرائد العربية وفي الاذاعات العربية . فكانت انتصاراتنا متواصلة كل الوقت انتصارات على طول الخط — .

وما زالت تلك الاخبار حتى ضبط اليهود فلسطين وكان قسم من الجيش المصري مطوق في فلوجه .

فماذا افادتنا تلك الاخبار الكاذبة ؟ .

الكذب يا اخوتي لايعمر بيتاً ولا يدفع غائلة . فلا يشفي امراضنا، ولايصون اعراضنا . فنحن في شديد الحاجة الى الصدق .

نحتاج اولا الى روح صادقة .

نحتاج الى جرائد صادقة .

والى مكاتيب صادقين .

والى قرارات صادقة .

والى مواعيد صادقة .

والى مؤرخين صادقين .

فاذا خسرنا معركة نقول صراحة انا قد خسرناها ونبحث عن اسباب انهزامنا . لأنه ليس من المستحيل ان نربح الجولة الثانية .

واذا قلنا انا ربحنا معركة نكون قد ربحناها حقيقة وليس فقط بالكلام .

العرب بطبيعتهم صادقون صريحون . والكذب دخيل على سجيتهم، هو تراث الاتراك . فلنترك ذلك التراث المعيب .

عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد

الامر الثاني الذي لا بد منه للفوز في حربنا ضد اليهود هو التكتل والتضحية :

فالتكتل هو تجمع الدويلات او الامم معاً فتتألف منها دولة كبيرة او امة كبيرة ، او شبه دولة وشبه امة .

والتضحية هي البذل في المصلحة الشخصية في سبيل المصلحة العامة .

وقد تكون التضحية شرط لا بد منه في سبيل التكتل . والتضحية في سبيل المصلحة العامة اشرف ما يعمل الانسان في نظام الاجتماع . ولا بد من التضحية في سبيل المنى .

ان امة ليس في معجم لغتها كلمة تضحية لا يزين تاج الظفر مفرقها . قال الشاعر العربي الكبير :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

فالذي يذهب الى الحرب ليغنم وينهب حاسباً الحرب تجارة ليس بالوطني الصادق . الحرب ميدان موت الفرد ليحيا المجموع .

العرب دول عديدة . وكان الخير لو انهم دولة واحدة . وروح واحدة . ومطلب واحد . ونزعة واحدة . اما وهم متعددون فلا اقل

من ان يتكتلوا ويتواثقوا . فاذا تخاذلت دول العرب خسرت . نحن العرب اولى بالتكتل من دول البلقان . فقد تكتل الاتراك واليونان والصرب . وهم اعراق متباينة . اما نحن فعرق واحد . وبهذا الاعتبار نحن اجدر من اولئك بان نتكتل .

ونحن في موقف اشد خطورة واوفر خطراً من دول البلقان . فالعدو الغاشم لنا بالمرصاد . هو جاثم على ابوابنا . وقد كشر عن انيابه يروم ان يفترسنا . فنحن ملزمون بالتكتل والتضحية للنجاة مما يتهدد حياتنا وقوميتنا وكرامتنا من خطر .

والتكتل اهون علينا مما كان على السلف الكريم الذي اورثنا هذه الاوطان بجده وجهوده .

القومية يا بني امي تشرى ولا تباع . نحن العرب وقد عرف التاريخ من نحن وما نحن فلا نبيعن قوميتنا رخيصة .

عندنا اليوم المواصلات البرية والبحرية والجوية . وعندنا الآن المال . وقد تحرر اكثرنا من السيطرة الاجنبية والباقي منا في ميدان التحرر من كل ما يعرقل سيرنا الاجتماعي . وامم الغرب تفتقر الينا اكثر من افتقارنا اليها . فاذا احسنا اغتنام الفرصة فالفوز مضمون لنا .

قصة اوربا لكم مع مزيد الاسف تبين لكم واضحاً كيف تحفر الامم قبرها بيدها .

رجل من كبار رجال احدى الدول العربية . شكي بانه ارتكب . فقابلت رئيس البرلمان . وسألته احقيق ما شاع عن فلان انه مرتكب ؟. قال : نعم . وقد الفنا لجنة للتحقيق معه ؟ .

وبعد مدة اجتمعت بوزير سابق وسألته ما رأيه بفلان — اعني به

الرجل نفسه . فقال انه مرتكب . وانا كنت كاتب لجنة التحقيق معه . قلت فماذا جرى له ؟ . قال : تبرأ : فادهشني ذلك . وقلت لحضرته كيف يتبرأ وهو مرتكب . فنظر الرجل نظرة التي لا انساها وقال : بوطل :

والامر ليس من الاسرار الخافية بل هو معروف في دائرة واسعة.

هذا هو معالي الوزير فلان .

ابرجال كهذا يتشرف العرب ويقهرون العدو الغاشم ؟ . انا لا اخاصم الرجل هذا . ولكني اخاصم الذين كانوا يحرصون عليه من اكابر رجال الدولة ولا يرضون بتشكيل وزارة الا بشرط ان يكون هو فيها.

فاين الامانة ؟ .

واين الصدق ؟ .

واين التضحية ؟ .

فاعزلوا الخونة . وتجنبوا التسفل بتوظيف امثال هؤلاء . فعدو واحد في الداخل اكثر اضراراً بالدولة من عشرين عدو خارجها .

وثالث ما يلزمنا لنقهر اسرائيل هو المقاطعة .

مقاطعة اسرائيل . ومقاطعة من يعامل اسرائيل .

اذا نحن قاطعنا قتلنا اسرائيل (بتسكين لام قتلنا) واذا لم نقاطع قتلنا اسرائيل (بفتح اللام) .

فلسفة اسرائيل

واضح لكم ان اسرائيل اليوم دولة لا دينية . هي بالحقيقة عش الشيوعية . وفي الوقت نفسه ركن للصهيونية . ومن الواجب ان تفهم

ما هي ولماذا كانت اسرائيل دولة غرضها حشد الاموال لتسيطر بالها على العالم وتستعمره وتجره الى الهوان كما تعمل اليـــوم بالانكليز والامريكان وروسيا .

هذا هو بروتوكول اسرائيل .

واذا كان اليهود لم يكتبوا البروتوكول فهم يطبقون قضاياه بالضبط والدقة .

فافتحوا عيونكم يا عرب .

اسرائيل عنده مال يروم ان يوظفه في سوق رابحة . فرأى فلسطين بلداً ملائماً لغرضه . فجاء فلسطين لا ليعبد الله . كلا . ولا لبشيــد الدولة المثالية والامة المثالية . اسرائيل ابعد امم الارض عن المثاليات هو رجل مال لا غير .

فجاء فلسطين . وانشأ المصانع . وانتج البضائع . فأين يصرفها اين هو سوق اسرائيل ؟ .

الجواب : ان سوق اسرائيل الخاصة لتصريف بضائعه ليس امريكا . ولا اوربا . ولا اوستراليا . بل هي بلاد العرب في الشرق الاوسط والبلدان الاسلامية كافة . اسرائيل يروم ان يبتز اموال العرب والمسلمين ويستعبدهم . هي قضية لا يماري بها (بفتح الراء) فاذا لم نقدر ان نقضي عليه في حرب شعواء كان من اقدس واجباتنا مقاطعة اسرائيل مقاطعة تامة صادراً ووارداً .

سأل رجل امريكي بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل : متى تتعادل ميزانية الدولة الاسرائيلية ؟ .

قال له بن غوريون : تتعادل ميزانيتنا متى صالحنا العرب .

قال الامريكي : واذا لم يصالحكم العرب ؟ .

قال : اذا لم يصالحنا العرب فلا توازن .

اسمعوا يا عرب ! .

افيقوا يا مسلمون !

اسرائيل الآن في ضيق شديد . هذه الدولة المفبركة تحيا الآن بدم مستمد من امريكا يحقنونها به . وهو ينتظر يوماً يتمكن فيه من وضع يده في يد العرب ليستنزف اموالهم وقوتهم فيستغني عن امريكا . انفهم من ذلك ان لحياة اسرائيل موردين مورد موقت وهو امريكا .

ومورد ثابت وهو العرب والاسلام .

فاذا ثبت العرب على المقاطعة انهار اسرائيل . لأنه بالمقاطعة تكسد بضائعه . وتقفل مصانعه . وتنتهي مطامعه . وتتحقق فواجعه وجائعه .

فكل بيضة تهرب الى اسرائيل هي رصاصة في صدر قحطان . وكل بقرة تجتاز حدودنا الى اسرائيل هي قنبلة ذرية في ربع عدنان .

فلكي يمكننا الفوز على اسرائيل يجب ان نكثر من اعواد المشانق حول اسرائيل . ولا اسراف في ذلك . لأن تعليق عشرة آلاف مهرب خير لنا من القضاء على اربعمائة مليون من عباد الله .

ان عشرة آلاف خائن ثمن بخس لـ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس وليست كعملية ترومن التضحية بعشرة لأجل واحد .

يا امتي العربية .

ان الامة لا تعيش رعناء .

فأفيقوا . وافتحوا عيونكم . فامامكم مشهد مرعب . اين يذهب

شبابكم وشاباتكم ما تبنيه وسواريه ؟ . الى السينمات ؟ . لتشاهدوا الافلام ؟. فصنع من تلك الافلام ٪. الجواب ان ٩٨٪ مـــن افلام الولايات المتحدة هي من صنع الشركات اليهودية .

صناعة السينما في هوليود تكاد تكون مشروعا يهوديا بحتا . فكل شركات السينما - ما عدا شركتين - يملكها ويديرها اليهود .

فشركة لويس : وبارامونت ووورنر ويونيفرسال وكولومبيا كلها يهودية . واصبحت هوليود مدينة يهودية .

مهلا . اسمع واعتبر . الى اين اتجاه امة العرب والمسلمين . الى اين؟. الى اين تتسرب دراهمهم ؟. الجواب : الى جيوب اليهود .

اولادنا وشباننا يدفعون لليهود ثمن الذخائر والاسلحة التي بها يذبحوننا .

في القاهرة والاسكندرية والخرطوم وبيروت ودمشق وبغداد وحلب .

بـــل في كراتشي وسنغبور واندونيسيا وبورنيو وفي كل العالم الاسلامي والعربي يتردد مـا لا يقل عن خمسين مليون مـــن الخلائق الرخصة . ويدفعون لليهود ثمن الحبال المعدة لشنقهم .

يعلق اليهود افلاذ اكبادنا بحبال ندفع نحن ثمنها .

افلا ترون - والحالة هـــذه - سببا كافيا لمقاطعة شركات السينما اليهودية .

ان خمسين مليون - عرب ومسلمين - يدفعون لجيوب اليهود ما لا يقل عـــن ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٤ مليون ليرا سورية سنويا . واوكد انهم

يدفعون اكثر من ذلك للشركات اليهودية والارتيستات الراقصات والنديات اليهوديات .

افلا نقاطع هذه الكلابات اليهودية التي تجرنا الى الدمار وغرات احشائنا الى جهنم ؟ .

ان لجنة المقاطعة العربية تقدر على ذلك . اذ هي وجهت همها لدرس القضية ونظمت قراراً في مقاطعة شركات السينما اليهودية في هوليود وفي غيرها . وترفع هذا القرار الى الحكومات العربية بمنع استيراد الافلام اليهودية – وذلك سهل لو اردناه – وخطر دخول الراقصات والنديات المحبوبة ، الى البلاد العربية .

افلا يكفي انهم انتزعوا منا فلسطين ؟ . افتريدون ان ينتزعوا منا حياتنا . فلا تنسوا ان اول مايجب ان يقاطعه العرب هو الافلام صنع الشركات اليهودية والارتيستات اليهوديات .

الرابع والخامس : الزراعة والصناعة .

يلزمنا لكي نقهر اسرائيل ان يكون للزراعة عندنا المنزلة الاولى من الاعتبار والاكتراث . وكذلك الصناعة .

صناعة الصيدلة والكهربائية صناعتان يهوديتان . كأنه لادخل لنا فيها مع فرط اهميتها وجزيل نفعها .

نعيب اسرائيل لأنه افشى اسرار الذرة لروسيا . ولكن اسرائيل مـــا افشى اسرار الذرة الا وقد عرفها اولاً . فهل عرفناها نحن ولم نفشها ؟ . وما ادراك انا لو عرفناها لكنا سبقنا اليهود الى افشائها . اما الآن فليس لنا حق المفاخرة لأننا لا نقدر ان نخون كما خان اسرائيل .

الخلاصة :

اسرائيل قدامنا في كل علم وكل فن وكل فلسفة وكل صناعة . فكيف نقهره ونحن وراءه ؟ .

اكبر علماء الطبيعة في الارض البرت اينشطين وهو يهودي .

اكبر فلاسفة العصر هنري برغسن وهو يهودي .

اكبر علماء النفس فرويد وهو يهودي .

اكبر الطيارين في الدنيا لندبرغ وهو يهودي .

المالية والصرافة والتوظيف المالي في الدنيا فنون يهودية .

مصر وهي ارقى قطر عربي كل تجارتها في ايدي اليهود .

جوائز نوبل نالها ٢٢ من اليهود في حين لم يرشح عربي واحد لنيل جائزة واحدة منها .

عندنا احلام لكنها مشوشة ولم تتحقق . ولنا اقوال وقواعد لكنها لا تنطبق مثال ذلك ماجرى لي في اميركا .

جئت نيويورك في آخر سنة ١٩١٨ فقابلني عربي شاب . وكله غيرة وحزم . وافادني انه عازم على ابطال وعد بالفور والحيلولة دون دخول اليهود الى فلسطين .

قلت كيف ذلك ؟ . ولاسرائيل المال ورضا انكلترا ؟ .

قال : ننشيء بنكاً عربياً لهذه الغاية . رأسماله اربعة ملايين دولار . نخص كل تلك الاموال بشراء العقار الذي يضطر العرب الى بيعه بفلسطين . فلا يهودي يشتري بيتاً واحداً في كل فلسطين . ثم نحن في دورنا لا نبيع شيئاً الا للعرب . وبهذه الوسيلة يظل اليهود بفلسطين غرباء لا يملكون شيئاً .

قلت : ومن اين تجمعون الاربعة ملايين دولار ؟ .

قال : نبيع اسهما بالمبلغ للجالية العربية في امريكا .

فقلت له : اسمع يا عزيزي !

انا احبك واحب والدك .

ولو ان مشروعك مثمر لوجب ان اكون في خدمته . والحقيقة ان العرب لا يشترون منك اسهما باربعة دولارات .

ولكن يهودي واحد يتقدم لمشروع كهذه ليس فقط اربعة ملايين دولار بل اربعين مليونا . وربما اكثر من ذلك . والبيت الذي تدفع فيه الف دولار يسبقك اليه اليهودي ويشتريه بعشرة آلاف دولار . فانا ارى انك لن تفتح البنك الذي تحلم به . واذا فتحته فلن يقدر له البقاء . واليهود يدفعون لإزاحته اربعمائة مليون دولار :

هذا كان حديثنا ليلة رأس عام ١٩١٩ والآن بعد ٣٥ سنة مات حبيبنا ولم ينشيء البنك . وفلسطين اليوم في ايدي اليهود .

قهر اليهود لا يستحيل علينا ، بحوله تعالى . ولكن بغير هذا التفكير وغير هذه الخطط وهذه الاسلحة . اسرائيل غلبنا بالعلم والمال والسيف ولا سبيل لنا الى غلبته الا بهذه الامور العلم والمال والسيف فاعتبروا يا اولي الالباب .

خاتمة الكتاب

في نتائج ما تقدم من الابحاث

لقد رأينا ما هو اسرائيل – معدنه واهدافه – من الجد الاول الى الآن .

ورأينا وقائعه وعرفنا روحه وتفكيره . فما هي النتائج التي يمكننا استخراجها من تلك الابحاث ؟ . اني اقتصر على ذكر بعضها .

النتيجة الاولى

مع شديد الاسف ان اسرائيل والعرب لا يأتلفـان . لا سلام لاسرائيل والعرب .

ومساعي الصلح بينهما فاشلة وهي نوع من محاولة المحال . حتى انه او فرضنا ما يقرب من المستحيل وان الامم تمكنوا من مصالحة اسرائيل والعرب فانهم قبل شروق شمس الغد يعودون فينشقون ويتعادون .

وسبب ذلك واضح . وهو تباين الطباع واختلاف التفكير .

اسرائيل في كل تاريخه لم ينسجم مع امة من امم الارض . ولا عاش بسلام مع جار له . وقد طرد من كل ممالك اوربا كما مر بك في صفحة ١١٦ من هذا الكتاب . ولم تطق امة من امم الارض احتماله . فليس من العدل والانصاف ان نكلف العرب بالقيام بمهمة اعجزت كل امم الارض .

لا ينس عزيزي القارئ، ان الشعب الانكليزي يكره اليهود كرهاً تاماً . ومثل ذلك يقال في الشعب الامريكي . وهم يريدون ابعادهم عنهم .

ولا يقل عن ذلك الروس والالمان كما تشهد لنا وقائع كل يوم . ولا نقدر ان نتوقع ان تكون حالهم مـع العرب خلاف ذلك . بغضاء وتقاطع وتوتر .

، قرأت كتاب ليلينتال « ثمن اسرائيل » . والرجل يهودي يكتب ضد الصهيونية . وهو يحاول ان يقنعنا ان الداء انما هو في الصهيونية لا في اسرائيل . وذلك مغالطة مكشوفة وسفسطة سخيفة لا يؤخذ بها .

فاليهودي صهيوني طبعاً ان لم يكن اسماً . والصهيونية فرع للشجرة التي هي اسرائيل . فمع تقديري لجهود ليلينتال لا اسلم بشيء من دعواه لأن الداء في الاصل لا في الفرع .

اسرائيل هو اسرائيل قبل الصهيونية وبعدها .

اسرائيل باع اخاه عيسو صحن شوربا العدس بمائة الف ليرا .

اسرائيل كذب على والده ليتفوق على اخيه .

اسرائيل احتال على خاله واستولد المواشي حسب هواه ليجني من ذلك ثروة .

هذا هو اسرائيل في كل اجياله، فهو الطف ما يقال فيه . فالشر كل الشر انما هو في اسرائيل . وما في الصهيونية من شر فقد تسرب اليها من اسرائيل .

وغرضي في تأليف هذا الكتاب ان ارى القارىء ما هو اسرائيل لا ما هي الصهيونية .

اسرائيل لم تحتمله ارض ولا سماء .

لم ترتح امة جاورها شرقاً او غرباً او شمالا او جنوباً .

فليس من الحق ان يفرض على العرب ما عجزت عنه امم الثقلين .

فقد ثبت لنا وللتاريخ ان اسرائيل لا يجاوز . ولا يعامل ولا يعاهد فلا امل باتحاده مع العرب . وهذه افعاله تدل عليه . قتل وضرب وسلب ونهب . ثم يذهب شاكياً باكياً على وزن ضربني وبكى وسبقني فاشتكى

فبعد ما تعدى على العرب . ودخل ارضهم بقوة انكلترا . وبعد ما انتزع فلسطين منهم وشردهم في حال يرثى لها نراه يشكوهم وينادي باعلى

صوته ان العرب اعتدوا عليه .

وهو في يوم يهاجم قرية عربية بقوة السلاح والجند المدرب . فيردي من يردي منهم . ثم يباكر الامم المتحدة شاكياً باكياً .

النتيجة الثالثة :

سقوط مكانة السكسون في الشرق .

كان للانكليز والاميركيين مجد باذخ في الشرق، ولا سيا بين العرب. وكنا نحبهم ونهابهم ونحترمهم . وكان لهم القول الفصل في كل مشاكلنا .

واليوم زال كل ذلك . وتبدلت الاحوال بضدها فلا حب ولا احترام ولا مهابة .

ولا نقدر ان نثق بالسكسون بعد اليوم .

وسبب كل ذلك تصرفهم في قضية فلسطين . فقد استعملوا كل ما عندهم من قوة حتى سرقوا فلسطين منا واعطوها لليهود . وسلحوهم ومولوهم ليتمكنوا من سفك دمائنا . فعلوا ذلك بنا في وقت كنا نحبهم ونلوذ بهم فكان هذا التصرف من امريكا وانكلترا ضد الحق وضد الشرف ومنافياً للمبادىء الانسانية .

فهبطت اسهم السكسون في الشرق . ولا صعود بعد ذلك الهبوط .

واصيبت مكانة امريكا وانكلترا باعظم الاضرار .

وهبط المستوى الاخلاقي في كل الارض .

وانتشر الشر والفساد على الحق والاصلاح، وزالت الثقة من الارض

والسكسون هم اول المسئولين عن هذا التشويش والبلبلة .

السكسون مسئولون باراقة الدماء في الشرق .

والاموال الباهظة التي تدفعها امريكا لليهود هي المسئولة عن كل ذلك . فصرنا ننظر الى هذا الجنس بغير العين التي كنا نراهم بها قبلا . فاما انهم سفلوا عن المستوى الذي كانوا فيه . واما اننا كنا مغشوشين بهم .

والذي خسره الامريكيون والانكليز من المكانة والكرامة في الشرق بسبب انحرافهم عن الحق لأجل اليهود - ذلك الخسران - يزيد مائة مرة عما ربح اليهود بفلسطين . علاوة على ذلك ان السكسونيين ورطوا اليهود ووضعوهم على شفا جرف هار . فسيتدهورون . لأن بغضاءهم للعرب وتعدياتهم عليهم وفتكهم بهم ونهبهم وتقظيعهم بهم هذه الامور لا تعد بمستقبل سليم لاسرائيل لأنه ذخر لنفسه غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة .

النتيجة الرابعة :

توحيد امم العرب .

وهي من اغرب كل ما نتج عن القضية الصهيونية من النتائج وابدعها .

العرب ابعد الامم عن التكتل والاتحاد . ودأبهم منذ وجدوا ، الانشعاب والتفكك فرادى وجماعات صغيرة لا رابطة تربطها ولا جامعة تجمعها .

ولا يمكن توحيد العرب الا بمعجزة خارقة . واليهود هم الذين اجترحوا هذه المعجزة بانهم - عن غير قصد منهم - جمعوا كلمة العرب وارغموهم على الانكماش في صعيد واحد ضد العدو المشترك .

كان العرب - قبل حادث فلسطين - يعيشون في اقطاع عديدة في آسيا وافريقية . نسمع عنهم كما نسمع عن امم اوربا . وجغرافية الامم العربية عندنا ابعد من جغرافية امريكا الجنوبية . فمنها عرب

الطوارق ومراكش والجزائر وتونس وبرقة ومصر والسودان وزيلع وبربره والصومال وسيناء وفلسطين وشرق الاردن وسورية ولبنان والعراق وبلاد العرب ـ الجزيرة العربية وفيها عشرات من الامارات والدول بعيدة عن الاحصاء متنوعة المشارب واللهجات ولم نكن نتصور ان هذه المؤسسات ستنضم يوماً ما تحت لواء واحد وفي جبهة واحدة.

وما كنا نحسبه بعيد المنال نراه الآن قريب الامكان بـل يكاد يكون امراً واقعاً .

وكلمة الجامعة العربية اصبحت مألوفة في هذه الايام وتكاد تدل على جامعة واقعية عملية يمكنها ان تقوم بعمل تاريخي مجيد لم تقدر ان تتمه حتى ولا في صدر الاسلام. وهي نتيجة ، في ما أرى ، من امجد النتائج التي اسفرت عنها قضية فلسطين .

زد على ذلك ان العرب قد شعروا الآن بفاقتهم علمياً . فاقبلوا على مناهل العلم ايما اقبال ترى شبابهم وشاباتهم في العواصم العربية مسرعين في ارتياد مرابع العلوم والفنون في صورة لم تشهدها في ما سلف مـن العصور .

واري ان هـذه الحركة المباركة ستسلح العرب باعظم قوة ملكوها في تاريخهم . وسيعقب هذه النهضة مجد عربي باذخ وحول شديد شامخ تتضاءل امامه شموس اسرائيل حتى تـكاد لا تظهر .

ولا اتحول عن هذه الموقف قبيلما الفت النظر الى امر له كل العلاقة بهذه القضية وهو « المسلمون » في كل الدنيا .

هذا العصر هو عصر نهضة المسلمين وازدهـار الاسلام من جديـد . وقـد تشكلت في عصرنا دول اسلامية كثيرة العدد شديدة الحـول .

كاندونوسيا وباكستان وفي كل دولة عشرينات الملايين . مع العلم ان هذه الملايين منكبة على العلوم والفنون والصناعة والسياسة . وجلها ان لم يكن كلها اعضاء في الامم المتحدة لها صوت يسمع . حتى يكاد لا يشعر بوجود اليهود الى جانبها فهم - اليهود - كالحبة بازاء القبة والنقطة بالنسبة الى بحر .

فمن اغرب صور الخيال وابعدها عن الامكان ان هذه الحبة ترجح على القبة ، وتلك النقطة تبتلع البحر البعيد الاطراف .

هذه قضية كان يجب الا يغفلها اليهود لأنها تهدد كيانهم وقد تكون سبب فنائهم . ومن يعش يره .

النتيجة الخامسة : العهد القديم

وانجراح ايمان كثيرين من ابناء الايمان بوحي العهد القديم

العهد القديم هو التوراة التي يعترف اليهود بأنها موحى بها من الله .

والعهد الجديد هو الانجيل الذي يعترف النصارى انه موحى به ايضاً .

ومجموعة التوراة والانجيل تؤلف كتاباً واحداً هو الكتاب المقدس . والنصارى يجمعون على ان الكتاب المقدس موحى به من الله وانه قانون الايمان والاعمال .

على اننا نشعر في هذه الايام بانتقاض كثيرين من المسيحيين - ولا سيما العرب في فلسطين وحول فلسطين - وخروجهم على العهد القديم . وسبب ذلك ما ابداه اسرائيل من التعديات التي لا تطاق على جيرانهم العرب والغدر بهم . رأى الناس ذلك فانكروه واستقبحوا ان تكون مثل هذه الجرائم مقبولة عند اله عادل كلي الصلاح والحنان على عباده . وعرفوا ان هذه الاعمال عينها هي التي اجراهـا اليهود بنفس

الروح التي نراها فيهم اليوم . وهي روح ردية لا انسانية . روح شريرة خبيثة لما رأوا ذلك وفهموا ان العهد القديم يحبذها نبذوا العهد القديم . وقالوا انه غير موحى به من الله .

كنت مرة نازلاً عن منبر كنيسة دمشق الانجيلية . واذا برجل من ارق وانبل اخوة فلسطين الانجيليين يقول لي على مسمع الاخوة : -

كفى يا استاذ ! لسنا نؤمن بالعهد القديم بعد .

حسبنا العهد الجديد الذي وحده كتاب الله .

لم اجب الاخ على تصريحه هـذا . لأني عرفت انه متأثر بما اجراه اليهود معهم بفلسطين . وقد اجلوهم عن ديارهم . وحلوا محلهم فيها . وقد شهدوا بام العين ما اجرى اليهود من الغبن الفاحش في معاملة العرب . ورأوا ان تلك الرذالة لا يمكن ان يرضاها اله صالح . فوجدوا انفسهم في موقف يقودهم الى انكار قدسية العهد القديم .

والآن انا اشارك اخواني في استقباح تصرفات اليهود . واؤكد ان الاله الصالح لا يرضاها . ولكن مسألة الوحي بالعهد القديم هي مسألة اخرى . ولا يجوز صدور حكم مستعجل يعرب عن استصغار العهدالقديم

فالعهد القديم كتاب واحد مع العهد الجديد .

فلا يمكن المسيحي الحقيقي ان يؤمن بالانجيل ويرفض التوراة .

صحيح ان العهد الجديد ارقى من العهد القديم . واوضح وابين .

ولكن ذلك لا يعني المضادة بينهما . بـل يعني التقدم والتسامي في الانجيل عما ورد في التوراة كما يبدو في الدور الثاني مـن البيت على الدور الاول الارضي مـع كونهما بيتاً واحداً ذا هندسة واحـدة وصنع عقل واحد . وان مصدر الرسالات السموية لا يمكن ان تصدر

عنه متناقضات فقبولنا الانجيل وحده دون التوراة امرٌ غير وارد وهو يهدم كل شيء . فالارتباط بين العهدين متين . وروحهما واحدة .

الهنا واحد — لا اله الا هو — هو اله العهد الجديد كما هو اله العهد القديم. لكن في التوراة قومية ليست في الانجيل . وللقومية مظاهر وخصائص لا لزوم لها في الانجيل . الانجيل كتاب اخروي . هدفه ما فوق لا ما على .

ويقول بولس ان قوميتنا (سيرتنا) هي في السموات .

بهذا المعنى المركز المسيحي تسامى عــن المركز اليهودي المحدد في العهد القديم : لكن لامضادة بين الاثنين . بل هناك رمز ومرموز اليه فان العهد القديم يهدف الى مدينة ارضية هي «اورشليم» وان العهد الجديد يهدف الى مدينة سموية « اورشليم العليا » المرموز اليها باورشليم الارضية. يعني ان جماعة المؤمنين تقدمت كثيراً وارتقت عــن مركزها الارضي . لكن ذلك لا يعني نبذ العهد القديم .

ومستلزمات القومية التي كانت تجوز لليهود قديما لا تجوز لنا اليوم . لأنها من اعمال الطفولة التي اجتزناها وقد مضى وقتها .

الله لا يتغير ولكن مواطن المؤمنين وظروف حياتهم الزمانية تتغير وتتبدل .

هذا بعض ما يقال في هذا الموضوع مما يحتمله كتاب كهذا الكتاب الذي تختص ابحاثه في ماهية اسرائيل ووفائه .

ذيــــل

ارى من المفيد ان آتي في ختام كتابي على الاشارة الى ما بدا مــن اسرائيل ودول اوربا الغربية لتجلية القضية اكثر وتبيان نقاط الاختلاف

بين ما نراه من اولئك وبين العدالة والحق والقانون فاقول .

جاء في جريدة الحياة البيروتية بتاريخ ٢١ نيسان سنة ١٩٥٤ ما يأتي:

« **بانش يدرس التوتر بين الاردن واسرائيل .**

« عقد مستر داغ هامر شولد الامين العام لهيئة الامم المتحدة مؤتمرا صحفيا .... وتحدث عن اللجنة التي تالفت برئاسة الدكتور رالف بانش فقال :

« **انها تتوفر على درس مشكلة الحدود الاسرائيلية الاردنية على ضوء مجمل التطورات في قضية فلسطين . وانها (اي اللجنة برئاسة بانش) تحاول ان تجد صعيدا لعمل عام تقوم به الامم المتحدة لتتدخل لازالة مسالة التوتر بين اسرائيل والاردن »** .

هذا ما جاء في الجريدة نقلا عن امريكا .

وحين اقرأ قطعة كهذه احير في امري بين هذا الكلام وبين احكام الحق والعدالة . كما احير بين التزام التأدب الواجب علي وبين هذا التشدق المنافي كل المنافاة حدود الجد والرجولة والشرف .

فمن هو البليد الخبل يا ترى ؟ .

انحن العرب ام اولئك الاجانب ؟ .

ارى الامريكان يتغابون . ويظهرون انهم عن جد يتكلمون وكأنهم يصدقون ما يقولون وهو بعيد عن التصديق .

وهبني قلت هذا الصبح ليل　　　ايعمى العالمون عن الضياء

يقولون « ازالة التوتر بين اسرائيل والاردن »

فمن هو اسرائيل ؟. اليس هو صنيعتهم ؟. فهم الذين اوجدوا اسرائيل

وهم الذين اتوا به الى فلسطين ومن الذي اوجد التوتر ؟ .

اليس الامريكيون الاغرار وسياستهم المعوجة .

اصحيح انهم يزيلون التوتر ام انهم يزيدونه ؟ .

لقد اضرموا النار والآن ينادون - الحريق - هم الذين قتلوا القتيل ولا يتورعون الآن ان يمشوا في جنازته .

فلنحول نظرنا عن اساس مشكلة فلسطين التي هم مسئولون بها ولنحصر نظرنا باحدى نتائجها الذي يدعونه توتراً . فما هو ذلك التوتر ؟ . ومن اوجده ؟ . وكيف يزول ؟ .

في الاجابة عن هذه الاسئلة ينحصر كلامي :

دخل اليهود فلسطين وفي ظنهم انه قد انتهى كل شيء . والواقع انه لم ينته شيء . ولسنا الا في اول خطوة في طريق شائك لا يعلم المصير فيه الا الله .

واول عقبات ذلك الطريق الضائقة الاقتصادية . فان العرب لما خسروا الجولة الاولى في الحرب وهم غير قادرين بعد ان يضمنوا فوزهم في الجولة الثانية ، وفي الوقت نفسه لا يريدون ان يعترفوا بأن جهادهم قد انتهى عمدوا الى المقاطعة .

قاطع العرب اليهود .

وقد تقدم ان هذه المقاطعة بلاء على اليهود .

واذا دامت وتشددت فانها ولا شك تقضي على اسرائيل .

وقد علمت ان اسرائيل في شديد الضيق من جراء ذلك .

ويقال ان صادرات اسرائيل ٥٪ ووارداته ٩٥٪ . اذا صح ذلك

فدولة اسرائيل تنهار ، وعملاء هبطت والافلاس له بالمرصاد . والموت في ذلك المرصاد .

هنا اخذ اسرائيل يختلج اختلاجات غير طبيعية هي عبارة عن الدفاع الاخير عن الحياة . وهذه هي اختلاجاته :

(١) قبيـــة

ما هي حادثة قبية ؟ .

الجواب :

قبية قرية في سنجق رام الله قريبة من الحدود الاسرائيلية فاجأتها كتيبة من جيش اسرائيل في ليل ٢٣ ت ١ سنة ١٩٥٤ . في جنح الظلام والناس نيام . فاطلقت عليها الرصاص من الارض ومن الطائرات في الجو . ونسفت بيوتها بالديناميت فاطبقت على من فيها ، وكانت على الاهالي ليلة لم يرو التاريخ لها مثيلا . فاسفرت الحملة عن تهديم نصف بيوت القرية وقتل ما يقرب من سبعين من سكانها . هذه هي كارثة قبية .

حملت الانباء الكهربائية اخبار الكارثة الى الامم المتحدة .

وفي الوقت نفسه حملة تشكيات الاردن واهالي القرية المنكوبين . فارسلت الامم المتحدة تستدعي الدكتور بنيكيه كبير مراقبي الهدنة لتسمع منه شفاهاً ما عنده من الاخبار والمطالعات بهذا الشأن . فذهب الرجل الى نيويورك وحضر الامم المتحدة . ومثل في الهيئة الرسمية ، وتلا على مسامع مندوبي الامم قراره الرسمي . وفيه ما ذكرت عن الحادث بالتمام . وزاد عليه ان المهاجمين هم من جيش اسرائيل . وعددهم يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ جندي . واورد الادلة على ذلك . فلم تبق شبهة في ان اسرائيل هو المجرم .

وتلا مندوب انكلترا قراراً بالاتفاق مع مندوبي فرنسا وامريكا صرح فيه ان جيش اسرائيل هو الفاعل ، وان هذه الدول الثلاث تستنكر هذا العمل .

بل اكثر من ذلك ان ابا ايبان مندوب اسرائيل اعترف بواقع الامر وقال انه آسف لأن الحملة التأديبية الانتقامية تجاوزت حدودها .

فلم يبق والحالة هذه ريب في ان اسرائيل ارتكب هذا الجرم . ولم يبق ثمت ريب عند احد في صحة دعوى الاردن . عند ذلك وقف الدكتور شارل مالك وتكلم بلسان العرب فطلب من هيئة الامم :

١ : معاقبة المجرمين .

٢ : التعويض على المنكوبين .

٣ : الاحتياط لمنع تكرار مثل هذا العمل .

فهل في هذه المطالب من عنت ؟ .

فماذا فعلت الامم المتحدة ؟ .

هنا بيت القصيد . ليس انها ضربت بخطاب مالك عرض الحائط . فلم تعاقب ولا عوضت . بل اكثر من ذلك انها تبعت اقتراح ابا ايبان في انها اخذت في يد المجرم اسرائيل .

فاوجبت على الاردن مفاوضة اسرائيل مباشرة في امر الهدنة حسب المادة ١٢ من مواد الهدنة والمعنى من ذلك ان يسعى الفريقان للصلح المنفرد .

وهذ الطلب اعز ما يتمنى اسرائيل . ومائة مليون جنيه ثمن رخيص له عند اسرائيل .

اما عند الاردن فهو نكبة لا يمكن احتمالها .

اولاً : لأنه يرمي الى فسخ الاتحـــاد العربي باخراج الاردن منه ودخولها في مخابرة منفردة مع اسرائيل .

ثانياً : لأنه يقدم صلح غير شريف مع اسرائيل .

ثالثاً : يفتح باب شرمستطير في الشرق لأنه يعني انتحار العرب .

رابعاً : لأنه يقدم الجزاء الحسن والمكافأة للمجرمين كأنهم محسنون ويوقع بالمنكوبين افظع انواع القصاص .

فكان تعرض الامم المتحدة ، ولا سيما كبارها اعني بهم امريكا انكلترا وفرنسا مصدر اعظم توتر عرفه التاريخ وفيه من قسلة الشرف والازراء بالعدالة والجناية على الانسانية اعظم ما عرف في كل التاريخ .

وكتب امين منظمة الامم « داغ هامرشولد » الى الاردن يأمره ان يفاوض اسرائيل مباشرة بناء على المادة ١٢ . والاردن ليس من الامم المتحدة

الاردن عضو في الجامعة العربية مع اخوانه الدول العربية .

الاردن لا يجوز له الخروج على الاتحاد العربي .

فاسرع باستدعاء وفوداً عربية . ووضع امامهم طلب الامم المتحدة بلسان داغ هامرشولد امين المنظمة .

اجتمعت وفود العرب ، ودرست القضية سياسياً وقضائياً وعسكرياً فتبينت الاجحاف العظيم والخروج عن القاعدة . فاجمعت على ان هذا الطلب مناف للحق والعدالة والقانون ومصلحة الاردن ومصلحة العرب . وان من افظع الاجرام قبوله . ورفع قراره الى الاردن . وبناء عليه ارسل الاردن جوابه على طلب هامرشولد بالرفض .

وبه يعلن اعتذاره عن قبول ذلك الطلب . وانه بناء على ارتباطه بالجامعة العربية يقبل بمفاوضة اسرائيل بالاشتراك مع نواب الدول العربية الموقعة هدنة رودس بين اسرائيل والعرب .

فلم يقبل هامرشولد بهذا الجواب . بل كرر الطلب من الاردن ان يعمل ما لا يجوز للاردن ان يفعله ولا يلتزم بعمله . وثانية رفض الاردن الطلب . فعاد هامرشولد يطلب من الاردن ثالثة ان يفاوض اسرائيل مباشرة وزاد هذه المرة ان هدد الاردن.

فجاوب الاردن بلطف وحزم كما في السابق .

فالتزم هامرشولد ان يسحب طلبه .

بلغني ان اسرائيل اسف شديد الاسف لأنه فشل في هذا المسعى . لأنه كان يرمي من وراء هذا الهجوم العسكري ان يحمل جيش الاردن على مصادمته فيتذرع بذلك الى دخول الاردن عسكرياً ، ووضع الامم المتحدة امام الامر الواقع . فلما لم يبد جيش الاردن حركة رد فعل غضب اسرائيل غضباً شديداً لأنه رأى فساد خطته وحبوط مسعاه الشرير .

لا يهمني هذا القول صح او لم يصح .

انا كمؤرخ بسيط يهمني ان تصرف الامم المتحدة هذا ومبالغتهم في تدليع اليهود زاد الامور توتراً بين العرب واسرائيل . والبيان بكل وضوح ان ليس اسرائيل وحده هو المجرم . بل الذين يدلعونه على حساب العدالة والقانون والسلم العام هم المجرمون هكذا عودوه في كل مراحله . هو يرتكب الاجرام وهم يغضون عن ذلك ويزيدون له المساعدة والنوال كأنهم خدام شهوة اسرائيل .

يرى اسرائيل منهم ذلك فيعيد الاجرام بالتعدي على قرية نحالين

ومهاجمتها بالقوة العسكرية وقتل ٩ من العرب على مشهد من الناس عموما ثم على عرب الشمالنة . وعلى قرية بدرس . ولكي يحول النظر عن نقطة القضاء العادلة اتى بشكوى زائفة وهي ان العرب هاجموا لورية يهودية ضمن حدود اسرائيل في جنوبي النقب وانهم قتلوا من ركاب اللورية احد عشر يهوديا .

وثاروا ثورة مصطنعة . ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور . واوجبوا على لجنة الحدود الاجتماع معجلا للنظر في الامر واثبات الجرم على العرب .

فاجتمعت اللجنة ونظرت في القضية فثبت لها زيف الدعوى . وان ليس من دليل على ان احداً من العرب او الاردن له يد في هذه القضية .

وبذل اسرائيل كل جهد ليحمل اللجنة على الحكم على ان العرب هم الفاعلون . فلم يصح ذلك في عدالة اللجنة . وقال رئيسها وهو اوربي ومحايد ان ضميره لا يسمح له ان يحكم في قضية كهذه تفتقر الى البينات .

فغضب اليهود وشكوه الى حكومة امريكا . فكان الجواب ان امريكا تثق بعدالة الرجل وامانته . ولا تقبل شكوى باطلة ضده .

فغضب اسرائيل غضبته . وانسحب من لجنة الهدنة لانها لم تتبع اهواءه وكان يريد ان يضع هذه الدعوى في كفة الميزان وجرم اسرائيل في قبيه في الكفة الاخرى ويقول « واحدة بواحدة » . ولكنه فشل في ذلك . وثبت عليه الاجرام مضاعفاً .

فظهر العرب في الامم المتحدة بطلب البحث في قضية نحالين وشرع اسرائيل حسب عادته يحاول ويطاول ويتدخل ويلف ويقترح ويقول : ان قضايا التعدي على الحدود الاسرائيلية الاردنية كثيرة . والنظر

في كل قضية امر لا آخر له . فالاحسن النظر في قضية الحدود اجمالاً . وبذلك يقفل الباب في امر الحوادث والتعديات .

فرفض العرب ذلك . وقالوا اولا يجب النظر في دعوى نحالين .

وتطرح القضية في مجلس الامن العام . ويكثر فيها القيل والقال .

ويصر الدكتور مالك بالطلب ان ينظر المجلس في الدعوى بين يديه شكوى الاردن بالاعتداء الاسرائيلي على نحالين .

ودخل روسيا وبرازيل في المناقشة . واخيراً تقرر ما يأتي نقلاً عن جريدة الحياة البيروتية عدد ٢٤٤٩ صفحة ثانية تحت عنوان :

مالك يقبل الاقتراح البريطاني الجديد معدلا

بما ورد تحت هذا العنوان ما نصه :

كان مندوب بريطانيا السر بيرسون ديكسن قدقدم اقتراحا جديدا يرمي الى اضافة بند ثالث الى جدول اعمال مجلس الامن يقول « باجراء مناقشة عامة من اجل الوصول الى حل الاردن واسرائيل على مراعاة وانفاذ شروط الهدنة بين الدولتين وتعزيزها » .

وقد سبق تقديم هذا الاقتراح محادثات خارج المجلس اشترك بهـا الدكتور شارل مالك تناولت ايجاد تسوية للمشكلة الاجرائية . وذلك ببحث الشكويين الاردنية والاسرائيلية اثناء اجراء المناقشة العامة لايجاد السبل الكفيلة بتعزيز الهدنة بين الاردن واسرائيل .

وتدخل مسيو هوبينو في البحث قائلاً :

« ليس ما يمنع ان يعالج الخطباء حادثة نحالين بما استحقه من الاهتمام تحقيقا لما يطلبه المندوب اللبناني والعرب عامة » . فقبل الدكتور شارل

مالك بذلك وبتنا ننتظر بعدها . ومهما يكن من امر فان خلاصة القضية هي هذه :

« العرب يطلبون الحق . واسرائيل يروم اضاعة الحق » .

هذا هو محتوى كل القضية من اولها الى آخرها .

فاسرائيل وهو المعتدي والمجرم يضع اللوم على العرب انهم هم المعتدون والدول الكبرى تبذل قصارى جهدها في تدليع اسرائيل والعمل على هواه وهذا هو سبب التوتر ، والذي يخجلنا هو ان هذه الدول لا تخجل

فنحن نريد الحق .

ونريد كل الحق .

ولا شيء الا الحق .

واسرائيل وقد نجح في تدلعه يعتصم بالقوة ضد الحق .

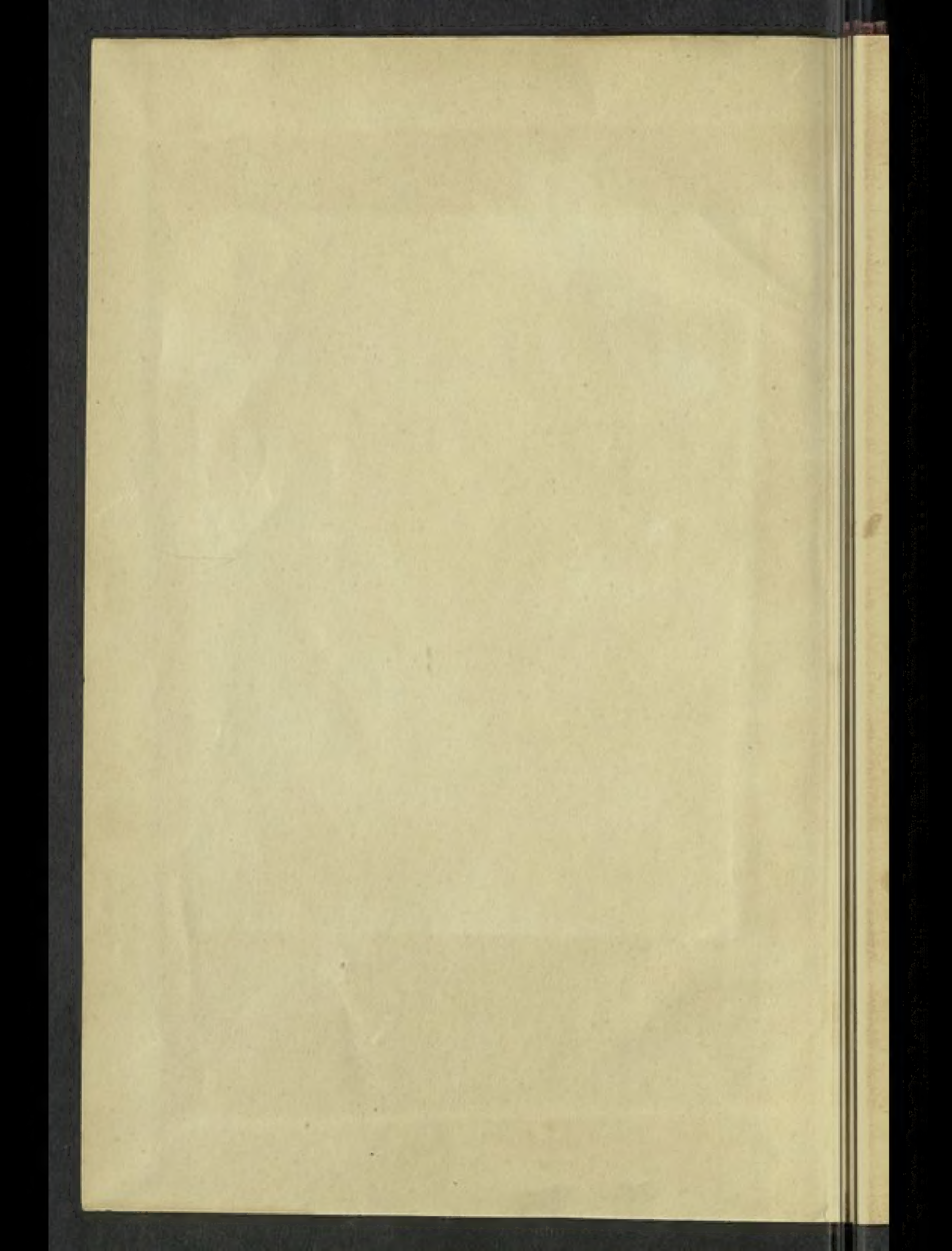
نحن العرب لا نقصد ان نعتدي على اسرائيل .

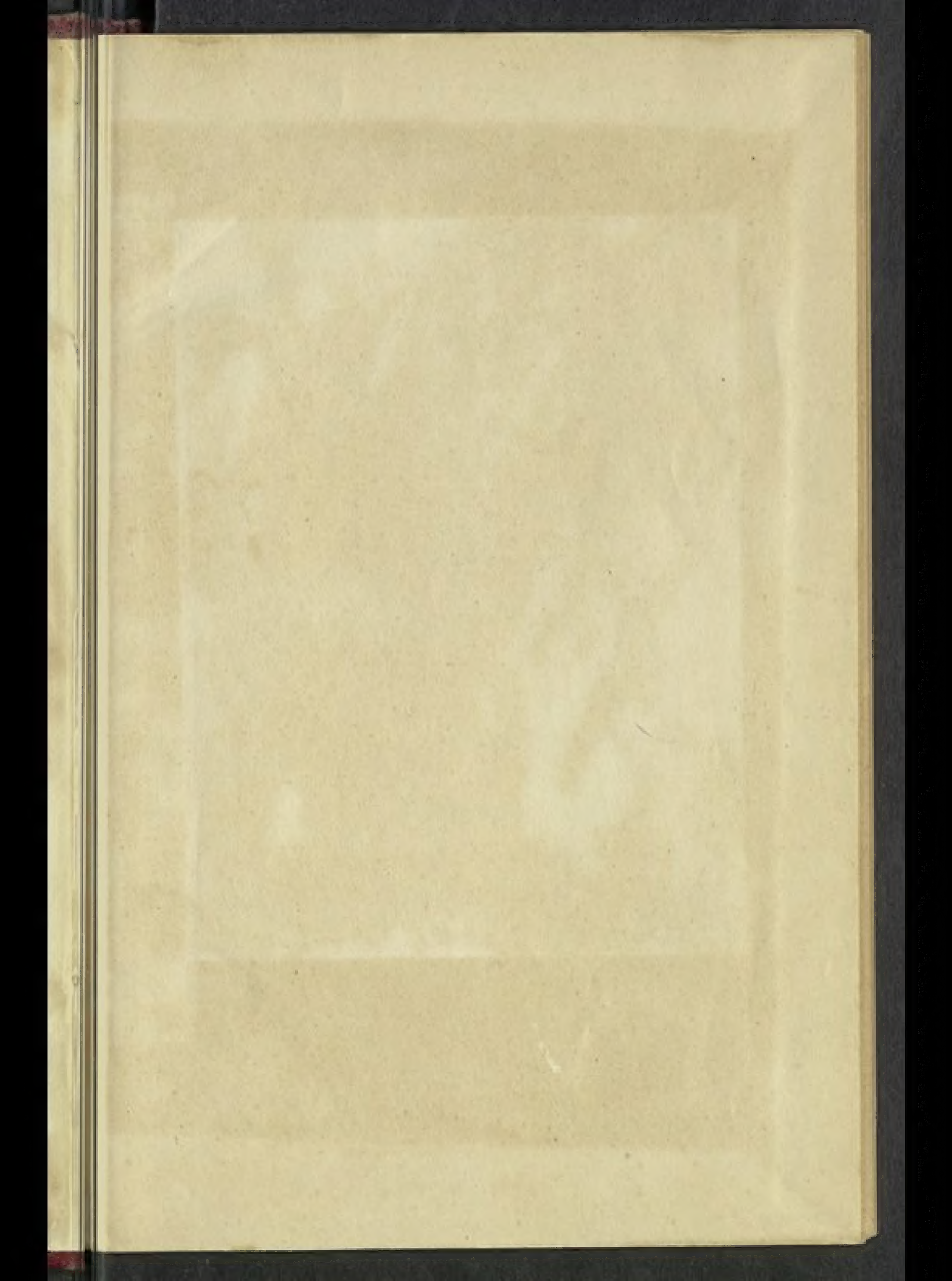
بل نطالب بحقنا المغصوب .

وحق بدون سلام ولا سلام بدون حق

والايام بيننا يا اسرائيل

فهرست






956.94:K45iA:c.1
خباز ،حنا
اسرائيل
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01056866


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

